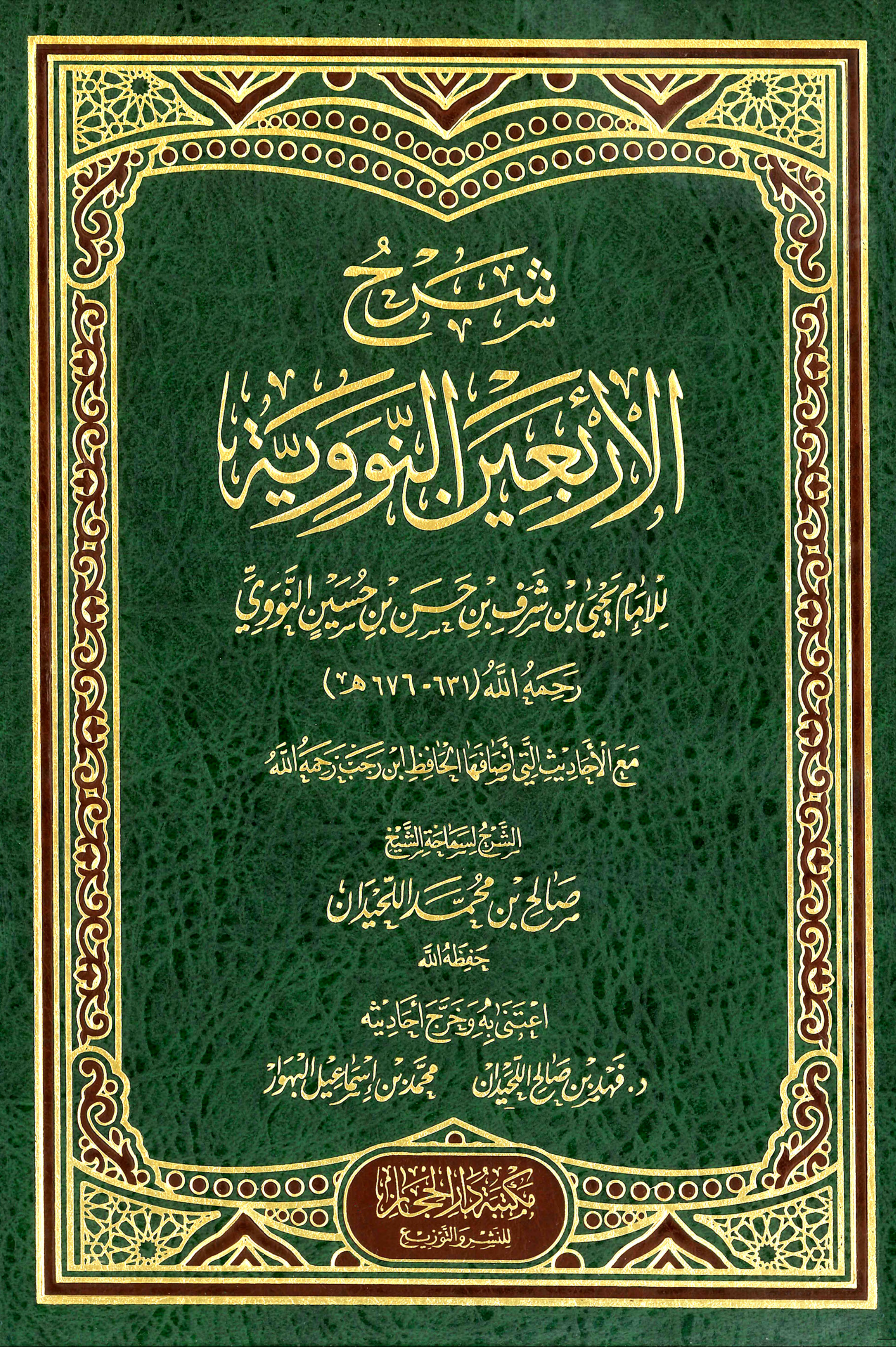
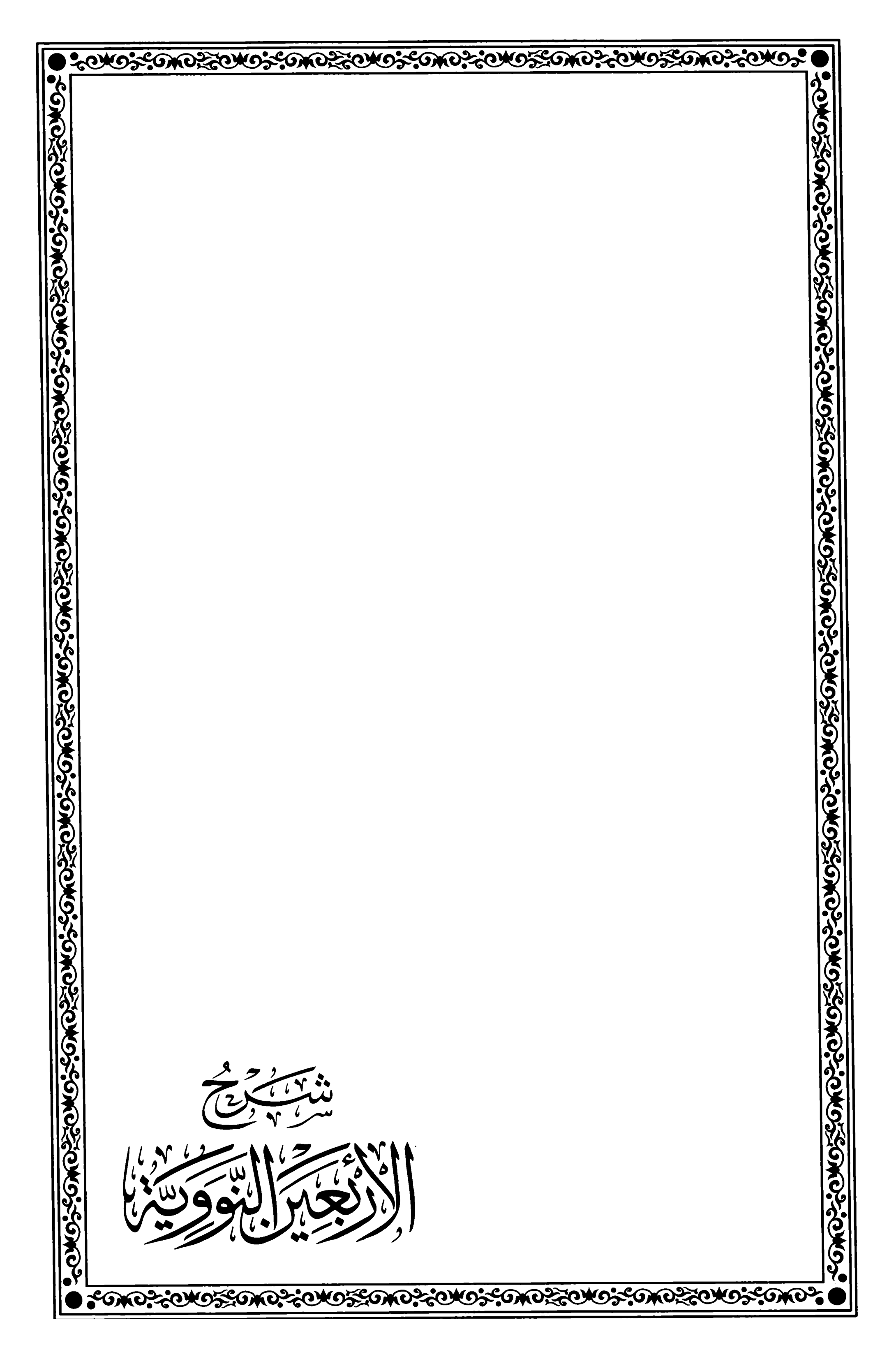

شرح
الأربعين النووية
للإمام يحيى بن شرف بن حسن بن حسين النووي
رحمه الله (٦٣١-٦٧٦ هـ)
مع الأحاديث التي أضافها الحافظ ابن رجب رحمه الله
الشرح لسماحة الشيخ
صالح بن محمد اللحيدان
حفظه الله
اعتنى به وخرج أحاديثه
د. فهد بن صالح اللحيدان
محمد بن إسماعيل البهوار
مكتبة دار الحجاز
للنشر والتوزيع


شرح
الأربعين النووية

ⓗ دار الحجاز للنشر والتوزيع ، ١٤٤٣هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

اللحيدان ، صالح بن محمد
شرح الأربعين النووية. / صالح بن محمد اللحيدان - ط١. .-
الرياض ، ١٤٤٣هـ

١٧١ ص ؛ ١٧*٢٤ سم

ردمك: ٩٧٨-٦٠٣-٩١٦٤٣-٥-٧

١- الحديث - شرح ٢- الحديث الصحيح أ.العنوان
ديوي ٢٣٧,٧ ١٤٤٣/٣١٦١

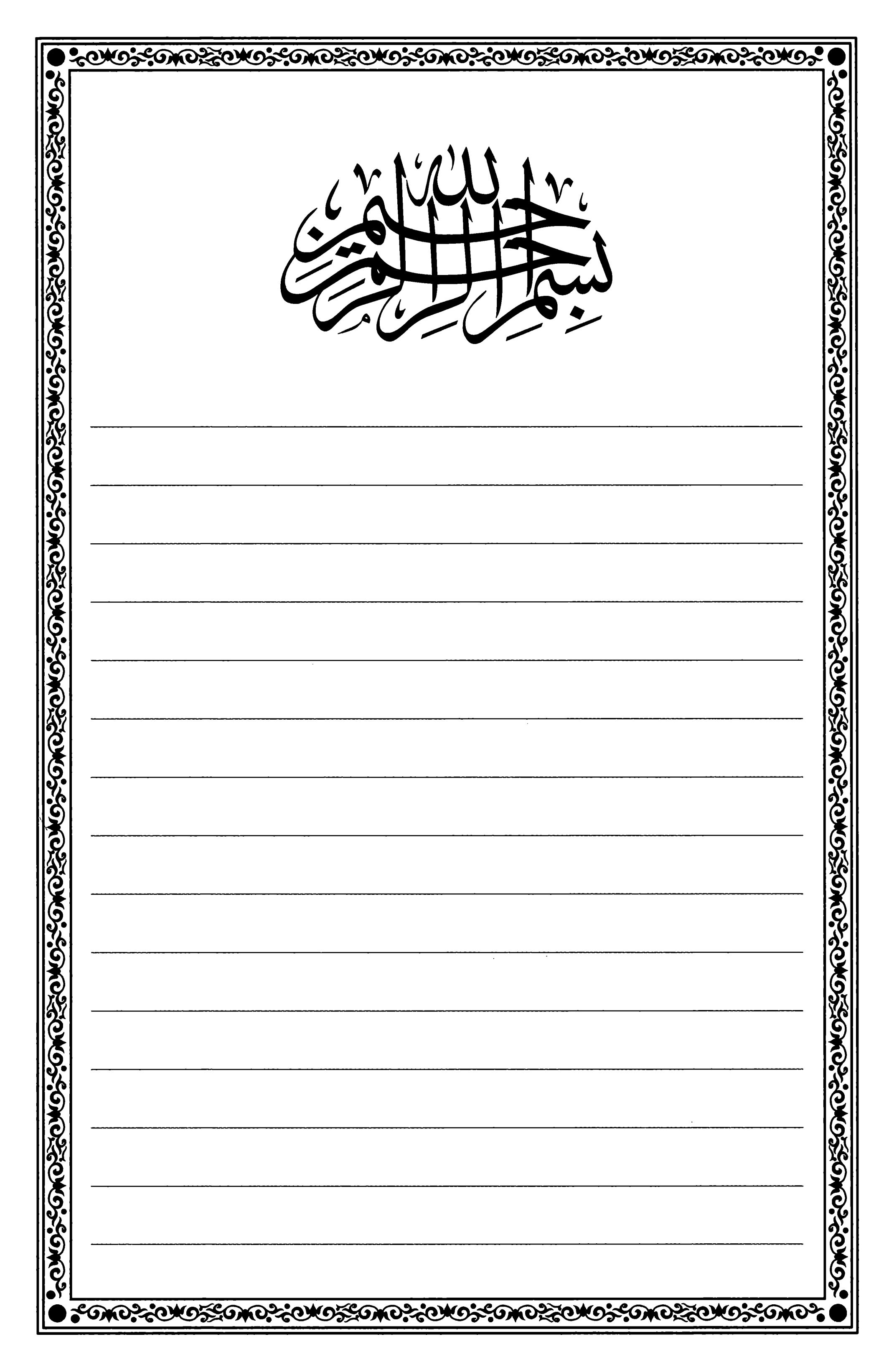
رقم الإيداع: ١٤٤٣/٣١٦١
ردمك: ٩٧٨-٦٠٣-٩١٦٤٣-٥-٧

الطبعة الأولى

١٤٤٣هـ - ٢٠٢٢م



المملكة العربية السعودية - الرياض - شارع السويدي العام - شرق النفق
الإدارة والمبيعات جوال - ٠٠٩٦٦٥٦٧٣٣٣٤١٧ - ٠٠٩٦٦٥٦٥٦١١٥٠٥٨ - ٠٠٢٠١١١٦٨٩٩١٠٠ - ٠٠٢٠١٠٦٩٠٥٧٥٧٣
الإسكندرية - ١٧٥ ش طيبة سبورتنج بجوار مسجد الصديق هاتف: ٠٣/٥٤٦١٥٨٣ - جوال: ٠١١١٦٨٣٣٥٥١
القاهرة - ٦ ش الدرسة متفرع من ش البيطار - خلف الجامع الأزهر الشريف - هاتف: ٠٢/٢٥١٠٧٤٧٢
جوال: ٠١١١٦٨٣٣٥٥٠ - ٠٠٢٠١٠٦٩٠٥٧٥٧٣ - فاكس: ٠٣٤٣٨١٥٠٩
البريد الإلكتروني: *d.alhijaz@gmail.com*


بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الناشر

الحمد لله فالق الحب والنوى، وخالق العبد وما نوى، المطَّلع على باطن الضمير وما حوى، وأشهد أن لا إله إلا الذي بهدايته سعد من اهتدى، وبتأييده رشد من اتَّعظ وارْعَوى، وبخذلانه ضلَّ من زلَّ وغوى وحاد عن الطريق المرتجى، وأشهد أن محمدًا عبده المصطفى، ورسوله المرتضى، بعثه بالتوحيد داعيًا إلى جميع الورى، ومبشرًا بجنات الخلد من ترك المِراء والهوَى، فصلَّى الله عليه، وأزْلفه في الحشر لديه، وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين ما طار طير أو هوى.

أما بعد:

فإن من أجلِّ نعم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أن امتنَّ على عباده بإرسال الرسل، ثم جعل في كل زمان فترة من الرسل بقايا من أهل العلم، يدعون من ضلَّ إلى الهدى، ويصبرون منهم على الأذى، ويحيون بكتاب الله الموتى، ويُبَصِّرون بنور الله أهل العمى، فكم من قتيل لإبليس قد أحيوه، وكم من ضالٍّ تائهٍ حيران قد هدوه، فما أحسن أثرهم على الناس وأقبح أثر الناس عليهم! ينفون عن كتاب الله تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين.

وقد كان من فرائد عقود الجمان، التي أناط بها المولى المنان أعناق بني الإنسان، المشتاقين للنهل من روافد سنة عبده العدنان:

دروس سماحة الوالد/ صالح بن محمد اللحيدان
حفظه الله ونفع بعلمه البلاد والعباد
في جامع عثمان بن عفان بالرياض

والتي شرح فيها كتاب:

الأربعين النووية
للإمام النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ
مع الأحاديث التي أضافها الحافظ ابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ

وبانتهاء آخر دروس شيخنا حفظه الله، انتهينا من تفريغها وترتيبها، وعملنا على ضبطها وتنقيحها، ومراجعة سماحة شيخنا -حفظه الله- في الغامض والملتبس منها، وأتممنا عملنا عليها بتخريج الأحاديث والآثار تخريجًا مختصرًا، عامدين إلى اقتصار حواشيها على ما ينفع طالب العلم، حتى لا يمل منها ولا يكل.

وما أن انتهينا بهذا الشرح المبارك إلى ثوبه الحالي، عرضناه على سماحة الشيخ الوالد؛ ليتسنى له النظر فيه على نسق الطباعة، فنال استحسانه والحمد لله، وأذن لنا بطباعته، على أن يُضاف إليه ما رأى سماحته وجوب إضافته أو استدراكه، فلله الحمد أولًا وآخرًا على توفيقه وامتنانه بإتمام هذا

الشرح وإكمال أركانه.

وإذ نسأل الله جَلَّ وَعَلَا أن يجعل عملنا خالصًا لوجهه الكريم، نسأله سبحانه أن ينفع بشيخنا ويبارك لنا في علمه وعمله، وأن يجزيه عنا خير الجزاء، وأن يغفر له ولوالديه ولأهله وذريته ومشايخه الكرام، وأن يحشره تحت لواء المصطفى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في زمرة السابقين الأولين مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وحسن أولئك رفيقًا، وأن يجعل لنا من الخير نصيبًا.

وصلى الله على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم،

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الشارح

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده وخليله ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ومن اهتدى بهديه واتبع سنتهم.

أما بعد:

فإن أشرف الأعمال وأكملها ما كان في سبيل العلم الشرعي إذا صاحبته النية الصالحة الصادقة؛ لأن الحياة في حَمْلِ ميراث النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ابتغاء مرضاة الله ورغبة في نفع عباد الله، بل هو أَجَلُّ ما يتقرب به العبد المسلم بعد أداء فرائض الإسلام، وليس بعد كلام الله جَلَّ وَعَلَا أفضل من كلام رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ لأن شرف الكلام تابع لعظمة ومنزلة المتكلم، فأجلُّ الكلام كلام الله، وأجلُّ كلام البشر كلام رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والسُّنَّة قرينة الكتاب الكريم، فإن مصادر الشريعة الإسلامية الأساسية هي: كتاب الله جَلَّ وَعَلَا، وسنة نبيه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

والله جَلَّ وَعَلَا أعطى نبيه جوامع الكلم؛ كلامًا قليل المبنى في حروفه، عظيمًا جليل المعنى؛ ذلك أن الله جَلَّ وَعَلَا أرسل محمدًا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

بشريعة باقية إلى أن يأذن الله عَزَّوَجَلَّ بزوال هذه الدنيا وما عليها.

والناس لا يزالون بخير ما عظموا سنة رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، واجتهدوا في فهم مقاصدها ومعانيها، وعرضوا مشاكلهم وما يجِدُّ من قضاياهم على كتاب ربهم جَلَّوَعَلَا وسنة نبيهم محمد صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ. وقد خدم السلف رَحِمَهُمُٱللَّهُ سنة نبيهم صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، واهتموا بالذَّبِّ عنها والذَّود عن حياضها، وبيان مقاصدها، وتصفيتها؛ لئلا يعلق بها ما ليس منها.

فلأهل الحديث المنَّة على كل طالب علم، فلْيَتَرضَّى عنهم ويَترحَّم عليهم ويَعرف لهم حقَّهم، فهم حملة العلم الصحيح مع كتاب الله جَلَّوَعَلَا؛ لأن العلم الصحيح النافع الذي لا مجال للهمز ولا للغمز فيه هو علم الكتاب والسنة، وكل علم أسس على مقاصد الكتاب والسنة فإنما ينال الشرف؛ لشرف الكتاب والسنة.

وإني لأنصح كلَّ طالب العلم أن يجتهد في حفظ ما يقدر على حفظه من السنة، فإن العلم النافع الذي يجده الإنسان إذا احتاج إليه إنما هو ما أمكن حفظه؛ لأن الفهم فرع عن الحفظ، فإذا لم يحفظ الإنسان شيئًا من العلم فماذا يفهم؟! ولكن إذا كان الرصيد محفوظًا؛ صار الإنسان يراجع نفسه وما حفظه كلما زل فهمه.

وهذه الرسالة الهامَّة "الأربعون النووية"، لاشك أن مؤلفها الإمام النووي[1] رَحِمَهُٱللَّهُ كان على نية صالحة، ولولا ذلك ما صار لها هذا القبول

---

(١) هو: يحيى بن شرف بن حسن بن حسين بن جمعة بن حزام الحازمي، محيي الدين أبو زكريا، =

العجيب والانتشار البيِّن، وما تسابق العلماء إلى شرحها وتخريج أحاديثها، إلى غير ذلك.

وقد كان الناس إلى وقت غير بعيد قلَّ أن تجد منهم طالب علم لا يحفظ الأربعين النووية، ومعها ما أضاف إليها ابن رجب[1] رَحِمَهُ ٱللَّهُ تكملة لتكون خمسين حديثًا، عامَّة أحاديثها من الأحاديث الهامة العظيمة التي بُني على مثلها التشريع الإسلامي.

فأسأل الله أن ينفع بها، وأن يزيد في نفوسنا تعظيم سنة نبينا صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كما أسأله جَلَّ وَعَلَا أن يهدي ضال المسلمين، وأن يصلح شأنهم، وأن يجمع شملهم، وأن يُعلي قدرهم، وأن ينصرهم على أعدائهم،

=

النووي، ثم الدمشقي، الشافعي العلامة شيخ المذهب وكبير الفقهاء في زمانه، ولد بنوى سنة إحدى وثلاثين وستمائة، وتوفي سنة ست وسبعين وستمائة، صنف التصانيف النافعة المفيدة في الحديث والفقه وغيرها، منها: "شرح صحيح مسلم"، و"رياض الصالحين"، و"منهاج الطالبين"، و"المجموع شرح المهذب للشيرازي"، وغير ذلك. يُنظر: طبقات الشافعية الكبرى (٨/٣٩٥)، وطبقات الشافعية (٢/١٥٣).

(١) هو: الإمام الحافظ والمحدث الفقيه زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي، البغدادي ثم الدمشقي، ولد ببغداد سنة ست وثلاثين وسبعمائة، ثم توجه مع أبيه تلقاء دمشق، وفيها شب وترعرع واكتهل، وبها توفي سنة خمس وتسعين وسبعمائة، له: "شرح على صحيح البخاري" لم يكمل، و"شرح على الجامع للترمذي"، وغير ذلك، وقد قام بشرح الأربعين النووية وما زاده عليها من أحاديث في كتابه المسمى: "جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثًا من جوامع الكلم". يُنظر: الدرر الكامنة (٣/١٠٨، ١٠٩)، وطبقات الحفاظ (ص٥٤٠)، وشرح علل الترمذي بتحقيق: د. همام عبد الرحيم سعيد (١/٢٤٦ - ٢٥٧).

وأن يرزقهم التحاكم إلى دينه، والرجوع إلى كتابه وسنة نبيه، وأن يباعد بينهم وبين البدع، وأن يصدهم عن الشرور والآثام.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

وصلِّ اللهم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

مُقَدِّمَـةُ الإِمَامِ النَّوَوِيِّ

الْحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَـمِينَ، قَيُّـومِ السَّمٰوَاتِ وَالأَرضِـينَ، مُـدَبِّرِ الخَلَائِـقِ أَجْمَعِـينَ، بَاعِـثِ الرُّسُـلِ -صَـلَوَاتُ اللهِ وَسَـلامُهُ عَلَـيْهِمْ- إِلَى المُكَلَّفِـينَ لِـهِدَايَتِهِم وَبَيَانِ شَرَائِعِ الدِّيـنِ، بِالدَّلَائِـلِ القَطْعِيَّـةِ وَوَاضِـحَاتِ البَرَاهِـينِ، أَحْمَدُهُ عَلَى جَمِيعِ نِعَمِهِ، وَأَسْأَلُهُ المَزِيدَ مِنْ فَضْلِهِ وَكَرَمِهِ، وَأَشْـهَدُ أَنْ لَّا إِلٰـهَ إِلَّا اللهُ، الوَاحِدُ القَهَّـارُ الكَـرِيمُ الغَفَّـارُ، وَأَشْـهَدُ أَنَّ مُحَمَّـدًا عَبْـدُهُ وَرَسُـولُهُ وَحَبِيبُهُ وَخَلِيلُهُ، أَفْضَلُ المخْلُوقِينَ، المُكَرَّمُ بالقُرْآنِ العَزِيزِ المعْجَزَةِ المسْتَمِرَّةِ عَلَى تَعَاقُبِ السِّنِينَ، وبالسُّنَنِ المُسْتَنِيرَةِ لِلْمُسْتَرْشِدِينَ، المخْـصُوصِ بِجَوَامِـعِ الكَلِمِ وسَمَاحَةِ الدِّينِ، صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْـهِ، وَعَلَى سَـائِرِ النَّبِيِّـينَ، وآلِ كُلٍّ، وسَائِرِ الصَّالِـحِينَ.

أَمَّـا بَعْـدُ:

فَقَدْ رُوِينَـا عَـنْ عَلِيِّ بْـنِ أَبِي طَالِـبٍ، وَعَبْـدِ اللَّهِ بْـنِ مَـسْعُودٍ، ومُعَـاذِ ابْنِ جَبَلٍ، وأَبِي الدَّرْدَاءِ، وابْـنِ عُمَـرَ، وابْـنِ عَبَّـاسٍ، وأَنَسِ بْـنِ مَالِـكٍ، وَأَبِي هُرَيْرَةَ، وَأَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ مِنْ طُرُقٍ كَثِيرَاتٍ، بِرِوَايَاتٍ مُتَنَـوِّعَاتٍ؛ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنْ حَفِظَ عَلَى أُمَّتِي أَرْبَعِـينَ حَـدِيثًا مِـنْ أَمْرِ دِينِهَا؛ بَعَثَهُ اللهُ تَعَالَى يَوْمَ القِيَامَةِ فِي زُمْرَةِ الفُقَهَاءِ وَالعُلَمَاءِ».

وَفِي رِوَايَةٍ: «بَعَثَهُ اللهُ فَقِيهًا عَالِـمًا».

وَفِي رِوَايَةِ أَبِي الدَّرْدَاءِ: «وَكُنْتُ لَهُ يَوْمَ القِيَامَةِ شَافِعًا وَشَهِيدًا».

وَفِي رِوَايَةِ ابْنِ مَسْعُودٍ: «قِيلَ لَهُ: ادْخُلْ مِنْ أَيِّ أَبْوَابِ الجَنَّةِ شِئْتَ».

وَفِي رِوَايَةِ ابْنِ عُمَرَ: «كُتِبَ فِي زُمْرَةِ العُلَمَاءِ، وَحُشِرَ فِي زُمْرَةِ الشُّهَدَاءِ».

واتَّفَقَ الحُفَّاظ عَلَى أَنَّهُ حَدِيثٌ ضعيفٌ، وإنْ كَثُرَتْ طُرُقُه[1].

وَقَدْ صَنَّفَ العُلَمَاءُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ فِي هَذَا البَابِ مَا لَا يُحْصَىٰ مِنَ المصَنَّفَاتِ، فَأَوَّلُ مَنْ عَلِمْتُه صَنَّفَهُ: عَبْدُ اللهِ بْنُ المبَارَكِ، ثُمَّ مُحَمَّدُ بْنُ أَسْلَمَ الطُّوسِيُّ العَالِمُ الرَّبَّانِيُّ، ثُمَّ الحَسَنُ بْنُ سُفْيَانَ النَّسَوِيُّ، وأَبُو بَكْرٍ الآجُرِيُّ، وأبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ إبْرَاهِيمَ الأَصْبَهَانِيُّ، والدَّارَقُطْنِيُّ، والحَاكِمُ، وأَبُو نُعَيْمٍ، وأَبُو عَبْدِالرَّحْمنِ السُّلَمِيُّ، وأَبُو سَعِيدٍ المَالِينِيُّ، وأَبُو عُثْمَانَ الصَّابُونِيُّ، وعَبْدُ اللهِ بْنُ مُحَمَّدٍ الأَنْصَارِيُّ، وأَبُو بَكْرٍ البَيْهَقِيُّ، وخَلَائِقُ لَا يُحْصَوْنَ مِنَ المُتقَدِّمِينَ والمُتَأَخِّرِينَ.

---

(١) اتفق الحفَّاظ على أن هذا الحديث ضعيف، وإن كثرت طرقه وتعددت رواياته عن عدد من الصحابة، وقد رواه الرامهرمزي في المحدث الفاصل (ص١٧٣)، وابن عدي في الكامل (٧/ ٦٦)، والبيهقي في شعب الإيمان (٢/ ٢٧٠)، وأبو نعيم في الحلية (٤/ ١٨٩). وجمع طرقه ابن عساكر في الأربعين (ص٢١-٢٨)، وابن الجوزي في العلل المتناهية (١/ ١١٩-١٢٨).

قال البيهقي في شعبه (٢/ ٢٧٠) عقب روايته من حديث أبي الدرداء رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «هذا متن مشهور فيما بين الناس، وليس له إسناد صحيح». وقال ابن عساكر في الأربعين (ص٢٥) عقب روايته من بعض طرقه: «فيها كلها مقال، ليس فيها ولا فيما قبلها للتصحيح مجال، ولكن الأحاديث الضعيفة إذا ضُم بعضها إلى بعض أخذت قوة، لاسيما ما ليس فيه إثبات فرض». وقال ابن حجر في التلخيص الحبير (٣/ ٩٤): «جمعت طرقه في جزء ليس فيها طريق تسلم من علة قادحة».

وَقَدِ اسْتَخَرْتُ اللهَ تَعَالَى فِي جَمْعِ أَرْبَعِينَ حَدِيثًا؛ اقْتِدَاءً بِهَـؤُلَاءِ الأَئِمَّـةِ الأَعْلَامِ، وَحُفَّاظِ الإِسْلَامِ.

وَقَدِ اتَّفَقَ العُلَمَاءُ عَلَى العَمَلِ بالحَدِيثِ الضَّعِيفِ فِي فَـضَائِلِ الأَعْمَـالِ، مَعَ هَذَا فَلَيْسَ اعْتِمَادِي عَلَى هَـذَا الحَـدِيثِ، بَـلْ عَلَى قَـوْلِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الأَحَادِيـثِ الـصَّحِيحَةِ: «لِيُبَلِّـغِ الـشَّاهِدُ مِـنْكُمْ الغَائِـبَ»[1]، وَقَـوْلُهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «نَضَّرَ اللهُ امْرَءًا سَمِعَ مَقَالَتِي فَوَعَاهَا، فَأَدَّاهَا كَمَا سَمِعَهَا»[2].

ثُمَّ مِنَ العُلَمَاءِ مَنْ جَمَعَ الأَرْبَعِينَ فِي أُصُولِ الدِّينِ، وَبَعْضُهُمْ فِي الفُرُوعِ، وَبَعْضُهُمْ فِي الجِهَادِ، وَبَعْـضُهُمْ فِي الزُّهْـدِ، وَبَعْـضُهُمْ فِي الآدَابِ، وَبَعْـضُهُمْ فِي الخُطَبِ، وَكُلُّهَا مَقَاصِدُ صَالِحَةٌ، رَضِيَ اللهُ عَنْ قَاصِدِيهَا.

وَقَدْ رَأَيْتُ جَمْعَ أَرْبَعِينَ أَهَمَّ مِنْ هَذَا كُلِّهِ، وَهِيَ أَرْبَعُونَ حَـدِيثًا مُـشْتَمِلَةٌ عَلَى جَمِيعِ ذَلِكَ، وَكُلُّ حَدِيثٍ مِنْهَا قَاعِدَةٌ عَظِيْمَةٌ مِنْ قَوَاعِدِ الدِّينِ.

وَقَدْ وَصَفَ العُلَمَاءُ كُلَّ حَدِيثٍ مِنْهَا بِأَنَّ مَـدَارَ الإِسْـلَامِ عَلَيْـهِ، أَوْ هُـوَ نِصْفُ الإِسْلَامِ، أَوْ ثُلُثُـهُ، وَنَحْوَ ذَلِكَ.

ثُمَّ أَلْتَزِمُ فِي هَذِهِ الأَرْبَعِينَ أَنْ تَكُونَ صَحِيحَةً، وَمُعْظَمُهَـا فِي صَـحِيحَيِ

---

(١) أخرجه البخاري (٦٧)، ومسلم (١٦٧٩) من حديث أبي بكرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

(٢) رُوي هذا الحديث بألفاظ متقاربة عن جمع من الصحابة، منهم: ابن مسعود، وأنس بن مالك، وزيد بن ثابت، وجابر بن عبد الله، وجبير بن مطعم، وأبي سعيد الخدري رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ، أخرجه أحمد (٣/ ٢٢٥)، (٤/ ٨٠، ٨٢)، والترمذي (٢٦٥٨)، وابن ماجه (٢٣٠)، والدارمي (٢٢٧)، وأبو يعلى (١٣/ ٤٠٨)، والبزار (٨/ ٣٤٢)، والطبراني في الأوسط (٥/ ٢٣٣)، والكبير (١٥٤١)، والحاكم في المستدرك (١/ ١٦٢).

البُخَـارِيِّ وَمُـسْلِمٍ، وأَذْكُرُهَـا مَحْذُوفَـةَ الأَسَـانِيدِ؛ لِيَـسْهُلَ حِفْظُهَـا، وَيَعُـمَّ الانْتِفَاعُ بِهَا إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى.

ثُمَّ أُتْبِعُهَا بِبَابٍ فِي خَـفِيِّ أَلْفَاظِهَـا، وَيَنْـبَغِي لِـكُلِّ رَاغِـبٍ فِي الآخِـرَةِ أَنْ يَعْرِفَ هَذِهِ الأَحَادِيثَ؛ لِـمَـا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ مِنَ المُهِمَّـاتِ، واحْتَـوَتْ عَلَيْـهِ مِنْ التَّنْبِيهِ عَلَى جَمِيعِ الطَّاعَاتِ، وَذَلِكَ ظَاهِرٌ لِـمَنْ تَدَبَّرَهُ.

وَعَلَى اللهِ اعْتِمَادِي، وَإِلَيْهِ تَفْوِيـضِي واسْـتِنَادِي، وَلَهُ الْـحَمْدُ وَالنِّعْمَـةُ، وَبِهِ التَّوْفِيقُ والعِصْمَةُ[١].

الشـرح

هـذه المقدمـة جـديرة بـأن يكـرر الراغـب في حفـظ الأربعـين النوويـة مطالعتها وقراءتها؛ ليحصل له نوع من الاقتداء بهؤلاء الأعلام، وليتأمل عـزائم الـسلف رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ في الرغبـة في تحقيـق الخير ونـشر العلـم، ومـدى اهتمامهم وتعظيمهم لسنة نبيهم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وما ذكره فيها الإمام النووي رَحِمَهُ اللَّهُ من سرد عدد كبير ممن أشاروا إلى الأربعين أو مَنْ أَلَّف فيها -وأَلَّف بعده عدد من العلماء في الأربعين أيـضًا- كـل ذلـك ليحـدو بطالـب العلـم أن يهـتم بحـديث رسـول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ لِـمَا فيـه مـن الخير العظيم؛ لأن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أوتي جوامع الكلـم، وخُص من بين سائر الأنبياء في ذلك بما لم يُخص به مَنْ سبقه[٢].

---

(١) يُنظر: مقدمة الأربعين للإمام النووي مع شرح ابن دقيق العيد رحمهما الله (ص١٥).

(٢) قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**بُعِثْتُ بِجَوَامِعِ الْكَلِمِ**» أخرجه البخاري (٢٩٧٧)، ومسلم (٥٢٣) من =

وطالب العلم حين يتدارس هذه الرسالة، وما فيها من الأحاديث الآتية -إن شاء الله- يجدها مشتملة على أدلة عظيمة لأصول الإيمان: العبادة، والعمل، والعلم.

فمنها ما يدور عليه فقه الإسلام، وفهم هذا الدين، ومنها ما يشتمل على: أركان الإسلام والإيمان والإحسان، وخبر الساعة، ومنها ما يبين ما على العبد المسلم من أعمال ظاهرة وأعمال باطنة، ومنها ما يؤكد حرمة الدماء إلا بحقها، ومنها ما يتعلق بخواتيم الأعمال، ونفوذ قضاء الله وقدره وتدبيره لكونه.

وفي كلها يرسم رسول الله صَلَّ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مجال العمل للعبد المسلم، وأنه لا يُتقرب إلى الله عَزَّوَجَلَّ إلا بما شرعه رسوله صَلَّ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ومن أراد أن يتقرب إلى الله بشيء لم يشرعه رسول الله صَلَّ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فعمله مردود عليه.

نسأل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أن يرزقنا جميعًا خالص النية وصادق المتابعة لرسوله صَلَّ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأن ينفعنا بما نقول، وأن يرزقنا إخلاص العمل في ذلك كله.

=

حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

الحديث الأول

عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ أَبِي حَفْصٍ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ، فَهِجْرَتُهُ إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ، وَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ لِدُنْيَا يُصِيبُهَا أَوْ امْرَأَةٍ يَنْكِحُهَا، فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ»[١]. رَوَاهُ إِمَامَا الْمُحَدِّثِينَ: أَبُو عَبْدِ اللهِ مُحَمَّدُ بنُ إِسْمَاعِيل بن إِبْرَاهِيم بن الْمُغِيرَة بن بَرْدِزْبَه الْبُخَارِيُّ الْجُعْفِيُّ، وَأَبُو الْحُسَيْنِ مُسْلِمُ بنُ الْحَجَّاج بن مُسْلِم الْقُشَيْرِيُّ النَّيْسَابُورِيُّ رَحِمَهُمَا اللَّهُ فِي صَحِيحَيْهِمَا، اللَّذَيْنِ هُمَا أَصَحُّ الْكُتُبِ الْمُصَنَّفَةِ[٢].

الشـرح

هذا الحديث حديث عظيم، وهو أحد الأحاديث الأربعة التي قيل: إن عليها مدار فقه الإسلام، وفهم هذا الدين[٣]: هذا الحديث، وحديث: **«إِنَّ الحَلالَ بَيِّنٌ، وإِنَّ الحَرَامَ بَيِّنٌ»**[٤]، وحديث: **«دَعْ مَا يَرِيبُكَ»**[٥]،

---

(١) أخرجه البخاري (١)، ومسلم (١٩٠٧).

(٢) يُنظر: مقدمة ابن الصلاح (ص٨٤).

(٣) لمزيد من الإيضاح: يُنظر: التمهيد لابن عبد البر (٩/ ٢٠١)، وتهذيب الأسماء (٢/ ٥١٠)، وجامع العلوم والحكم (ص٩)، ونيل الأوطار (٥/ ٣٢٢).

(٤) الحديث السادس من الأربعين النووية، سيأتي تخريجه (ص٤٣).

(٥) الحديث الحادي عشر من الأربعين النووية، سيأتي تخريجه (ص ٥٧).

وحديث: «مِنْ حُسْنِ إِسْلامِ المَرْءِ تَرْكُهُ مَا لَا يَعْنِيهِ»[1]، وفي روايات أخرى: «الدِّينُ النَّصِيحَةُ»[2].

هذا الحديث العظيم له شأنه في عمل الإنسان وتعاونه مع عباد الله، فالأعمال المعتبرة للآخرة لا وزن لها إلا إذا صاحبها شرطان:

الأول: أن يكون العمل خالصًا لوجه الله.

الثاني: أن يكون العمل موافقًا لسنة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قوله: (**إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ**): إذا عمل الإنسان عملاً ولم يرد به -في قلبه- وجه الله جَلَّ وَعَلَا، وكان في أمور تترتب عليها أحكام دنيوية، فلا وزن له عند الله، وهذا من الأمور الخفية التي لا يطلع عليها العباد، فما بين العبد وبين الله فهو عند الله؛ لأن العباد ليس إليهم معرفة السرائر ومقاصد القلوب؛ لأن هذا مما اختص به الله سبحانه وتعالى.

فالأعمال التي تنفع عند الله عَزَّ وَجَلَّ هي التي صاحبتها نية صالحة، وكانت موافقة لسنة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، التي من وافقها فقد وافق مراد الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

وفي الحديث إشارة إلى سببه، وهو: أن رجلًا هاجر ليتزوج امرأة يُقال لها: «أم قيس»، فكان يُقال له: «مهاجر أم قيس»[3].

---

(١) الحديث الثاني عشر من الأربعين النووية، سيأتي تخريجه (ص٥٩).

(٢) الحديث السابع من الأربعين النووية، سيأتي تخريجه (ص٤٦).

(٣) أخرجه الطبراني في الكبير (٨٥٤٠) من حديث ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

قال ابن دقيق العيد في إحكام الأحكام (١/ ١١): «نقلوا أن رجلاً هاجر من مكة إلى المدينة لا يريد بذلك فضيلة الهجرة، وإنما هاجر ليتزوج امرأة تسمى أم قيس، فسمي مهاجر أم =

والدنيا كلها متاع، ومتاعها: **شهوة البطن:** ما يتعلق بمكاسب الدنيا من أموال على اختلاف أشكالها، **وشهوة الفرج:** ما يتعلق بالنكاح.

فما كان من العمل لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ فجزاؤه عند الله، فقد يجمع للعبد جزاءً دنيويًّا وجزاءً أخرويًّا، وما كان لأمور الدنيا فليس له إلا ما أراد.

قوله: **(فَهِجْرَتُهُ إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ)**: لم يحدد بحدٍّ يُعرف بحيث لا يتجاوزه، وما كان للدنيا فقد بيَّنه: **(فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ)** من مطالب الدنيا، أما مطالب الآخرة فقد يُجمع للعبد فيها تحصيل الدنيا وتحصيل الآخرة، وحصول ذلك يختلف باختلاف همم العاملين وآثارهم؛ لأن العمل قد يُؤدَّى تأدية متساوية بأثر واحد، ولكن تختلف أجور هذه الأعمال تبعًا للإحسان الظاهر والإحسان الباطن، والإحسان الباطن هو ذروة الإيمان[1].

الخلاصة في **(إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ)**: أن الإنسان ونيته، فإذا كانت نيته نية مباركة صالحة حصل له الخير العظيم، ولكن يستصحب معها المتابعة الصادقة. فنسأل الله أن يرزقنا جميعًا خالص النية وصادق المتابعة لرسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

=

قيس؛ ولهذا خُصَّ في الحديث ذكر المرأة دون سائر ما ينوي به الهجرة من أفراد الأغراض الدنيوية».

(١) قال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -وقد سأله جبريل عن الإحسان-: «**أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فإنه يَرَاكَ**». جزء من الحديث الثاني من الأربعين النووية سيأتي تخريجه (ص٢٢).

الحديث الثـــاني

عَـنْ عُمَـرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -أَيْـضًا- قَـالَ: «بَيْنَمَـا نَحْـنُ جُلُـوسٌ عِنْـدَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَاتَ يَوْمٍ، إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُـلٌ شَـدِيدُ بَيَـاضِ الثِّيَابِ، شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعْرِ، لَا يُرَىٰ عَلَيْـهِ أَثَـرُ الـسَّفَرِ، وَلا يَعْرِفُـهُ مِنَّـا أَحَدٌ، حَتَّى جَلَسَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَسْنَدَ رُكْبَتَيْـهِ إِلَى رُكْبَتَيْـهِ، وَوَضَعَ كَفَّيْهِ عَلَى فَخِذَيْهِ، وَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، أَخْبِرْنِي عَنِ الإِسْلامِ؟

فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: الإِسْلامُ أَنْ تَـشْهَدَ أَنْ لَّا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ، وَتُـؤْتِيَ الـزَّكَاةَ، وَتَـصُومَ رَمَـضَانَ، وَتَحُجَّ الْبَيْتَ إِنِ اسْتَطَعْت إِلَيْهِ سَبِيلًا.

قَالَ: صَدَقْت . فَعَجِبْنَا لَهُ، يَسْأَلُهُ وَيُصَدِّقُهُ.

قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الإِيمَانِ.

قَالَ: أَنْ تُؤْمِنَ باللهِ، وَمَلائِكَتِهِ، وَكُتُبِـهِ، وَرُسُـلِهِ، وَالْيَـوْمِ الآخِـرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ.

قَالَ: صَدَقْت.

قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الإِحْسَانِ.

قَالَ: أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ؛ فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ.

قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ السَّاعَةِ.

قَالَ: مَا المَسْؤولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ.

قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنْ أَمَارَاتِهَا؟
قَالَ: أَنْ تَلِدَ الأَمَةُ رَبَّتَهَا، وَأَنْ تَرَى الحُفَاةَ الْعُرَاةَ الْعَالَـةَ رِعَاءَ الـشَّاءِ يَتَطَاوَلُونَ فِي الْبُنْيَانِ.
ثُمَّ انْطَلَقَ، فَلَبِثْنَا مَلِيًّا، ثُمَّ قَالَ: يَا عُمَرُ، أَتَدْرِي مَنِ السَّائِلُ؟
قُلْتُ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ.
قَالَ: فَإِنَّهُ جِبْرِيلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُمْ». رَوَاهُ مُسْلِمٌ[1].

الشـرح

الحديث الأول عن النية التي هي مبنى وأساس الأعمال، فيأتي هذا الحديث المشتمل على: أصول الإسلام والإيمان والإحسان، والخبر عن الساعة، وكلا الحديثين من رواية الخليفة الراشد عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

قوله: **(إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ)**، فقد جاء جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ في صورة رجل، وقد كان كثيرًا ما يأتي في صورة الصحابي الجليل دحية الكلبي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[2]، ولكنه في هذه المرة لم يكن في صورة دحية، وإنما جاء بوضع لم يعرف الصحابة من هذا الشخص.

---

(١) أخرجه مسلم (٨).

(٢) كما في حديث أسامة بن زيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «أَنَّ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أتى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعِنْدَهُ أُمُّ سَلَمَةَ، فَجَعَلَ يُحَدِّث ثُمَّ قام، فقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأُمِّ سَلَمَةَ: مَنْ هَذَا؟ قالت: هذا دِحْيَةُ. قالت أُمُّ سَلَمَةَ: ايمُ اللهِ! ما حَسِبْتُهُ إلا إِيَّاهُ حتى سمعت خُطْبَةَ نَبِيِّ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بخبر جِبْرِيلَ». أخرجه البخاري (٣٦٣٣)، ومسلم (٢٤٥١).

قوله: (**شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ، شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعْرِ**)، من لازمه أنه لا يكون عليه أثر السفر؛ لأن الأسفار في ذلك الزمن تؤثر في الملابس، فأكد الأمر زيادة وقال: (**لا يُرَى عَلَيْهِ أَثَرُ السَّفَرِ**)، ومن لازم أنه لا يُرى عليه أثر السفر أن يكون الصحابة يعرفونه، ولكن مع ذلك يقول: (**وَلا يَعْرِفُهُ مِنَّا أَحَدٌ**)، وربما لفت أنظارهم؛ لأن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بين أصحابه له الهيبة التي لا تُعرف من البشر لأحد من البشر، كما في قصة لقاء عروة بن مسعود الثقفي يوم الحديبية[1]، ولكن الرجل جاء ودنا من النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (**فَأَسْنَدَ رُكْبَتَيْهِ إِلَى رُكْبَتَيْهِ، وَوَضَعَ كَفَّيْهِ عَلَى فَخِذَيْهِ**)، وقال: (**يَا مُحَمَّدُ أَخْبِرْنِي عَنِ الإِسْلامِ؟**)، ولم يقل: يا رسول الله.

ثم سأل عن الإسلام، وكما هو معروف أنه إذا جاء ذكر الإسلام والإيمان في مقام واحد، فالإسلام متعلق بالأعمال الظاهرة التي يراها الناس ويؤدونها، فلما قال: (**أَخْبِرْنِي عَنِ الإِسْلامِ؟**)، قال له النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (**الإِسْلامُ أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ**).

---

(١) فقد جاء عروة يوم الحديبية رسولًا عن قريش إلى النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في أصحابه رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ، ولما رجع إلى قومه قال: «أي قَوْمِ، واللهِ لقد وَفَدْتُ على المُلُوكِ، وَوَفَدْتُ على قَيْصَرَ وكسرى والنجاشي، واللهِ ما رأيت مَلِكًا قَطُّ يُعَظِّمُهُ أَصْحَابُهُ ما يُعَظِّمُ أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ محمدًا صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، واللهِ إن يَتَنَخَّمْ نُخَامَةً إلا وَقَعَتْ في كَفِّ رَجُلٍ منهم فَدَلَكَ بها وَجْهَهُ وَجِلْدَهُ، وإذا أَمَرَهُمْ ابْتَدَرُوا أَمْرَهُ، وإذا تَوَضَّأَ كَادُوا يَقْتَتِلُونَ على وَضُوئِهِ، وإذا تكَلَّمُوا خَفَضُوا أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَهُ، وما يُحِدُّونَ إليه النَّظَرَ تَعْظِيمًا له...». أخرجه أحمد (٤/٣٢٨)، وصححه ابن حبان (١١/٢١٦) من حديث المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا.

والشهادتان هما المدخل لهذا الدين، فلا دين لمن لا يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، ولا ينفعه أي عمل يؤديه على اختلاف أشكاله ومقاماته أو قلته، فالشهادتان هما مدخل الدين، فمن لم يدخل معها لم يدخل في هذا الدين، والشهادتان مستلزمتان لتوحيد العبادة الذي لأجله أُرسِلت الرسل كلها، فعامة الناس لا يجحدون توحيد الربوبية، وإن تظاهروا بجحده فهم في قرارة أنفسهم موقنون به، ولكن توحيد العبادة هو محل الإرسال.

فشهادة **(أَنْ لَّا إِلَهَ إِلَّا اللهُ)** تعني: أنه لا معبود، والمقصود: لا معبود بحق إلا الله، وشهادة **(أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ الله)** تعني: أن الأمور لا تبلغ الناس ممن له الأمر والنهي والتبليغ إلا عن طريق مَنْ يبعثه إليهم، فإذا شهد الناس أن محمدًا رسول الله شهدوا أنه مبلغ عن الله، وأن الدين إنما هو ما يأتي عن طريقه، وهذا هو الركن الأول من أركان الإسلام، كما سيأتي في حديث عبدالله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا[1].

ثم قال: **(وَتُقِيمَ الصَّلاةَ)**، وإقامة الصلاة أمر أخص من أدائها؛ لأن إقامة الصلاة أن تؤدى على الوجه الأكمل حسب الاستطاعة.

قال: **(وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ)**، الزكاة محددة؛ لذا قال: **(وَتُؤْتِيَ)**؛ لأن الزكاة إنما هي بذل يبذله الإنسان لمن هي حقٌّ له وإليه قبضها؛ من فقير أو ولي أمر.

فالشهادتان والصلاة والزكاة؛ هذه الأركان الثلاثة من الأعمال الظاهرة التي يُعصم بها دم الإنسان، فمن شهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا

---

(١) الحديث الثالث من الأربعين النووية، وسيأتي تخريجه (ص٣٣)

رسول الله، وأقام الصلاة، وآتى الزكاة، عصم نفسه وماله إلا بحق الإسلام، بهذه الأركان الثالثة تتحقق العصمة(١).

والركنان من أركان الإسلام: الصيام والحج، لا يُنظر إليهما ابتداءً في تحقيق العصمة؛ لأن الحج قد يتخلف الإنسان عن أدائه فترة، وقد لا يصوم العبد لعلة تقوم به، لكن لو أنكر وجوب الحج أو أنكر وجوب الصيام وقال: لا داعي له، هنا يأتي الأمر الآخر الذي يرتب حكم إنكار ذلك.

ولـمَّا انتهى جبريل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ من سؤاله وهو السؤال المستفسر، قال: **(صَدَقْت)**، قال عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: **(فَعَجِبْنَا لَهُ، يَسْأَلُهُ وَيُصَدِّقُهُ!)**، أثار عجب الصحابة، رجل لا يُرى عليه أثر السفر، ثم يسأل عن أمور لا يتوقعون أن يعلمها أحد إلا عن طريق رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهم أصحابه الذين جاءوا معه من مكة، وقلَّ أن يخفى عليهم سؤال أحد عن أمر الدين بمثل هذه الصورة، ثم لا يعلمونه! بل لو قيل: إن هذا الأمر في ذلك الوقت متعذر لصح، ومع ذلك يقول: **(صَدَقْت)**؛ لأن شأن من يقول: صدقت -للمتكلم- أنه عالم بما سأل عنه.

فهذه الأركان الخمسة التي ذكرها هي الأعمال الظاهرة، وهي التي يُقَاتَل الناسُ لأجل القيام بها، فيكون القتال إلزامًا لتاركها، إذا كان هناك دولة تقيم هذا الأمر وتذود عنه وتدعو إليه، والنبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول في الحديث الصحيح الآخر: **«أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ**

(١) كما ورد في حديث ابن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، سيأتي تخريجه (ص٥١).

لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ، وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ، فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّ الإِسْلَامِ، وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللهِ»(١).

وفي قصة معاذ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ لَمَّا بعثه لليمن: قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ له: **«إِنَّكَ تَقْدَمُ عَلَى قَوْمٍ أَهْلِ كِتَابٍ، فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ عِبَادَةُ اللهِ...»**(٢) إلى آخره، فالأركان الثلاثة هي التي يُقَاتَل الناس ليقوموا بها، عندما يكون للإسلام صولة وجولة، ويكون أهله حاملين المعنى الذي به يذودون عنه ويدافعون، وينشرون الخير والفضل.

وبالمناسبة فإن الإسلام لم يأت بالقتال هدفًا أساسيًّا من أهدافه، وإنما الأهداف الإسلامية أن يُعبد الله وحده لا شريك له، وإذا أراد أحد أن يقف في سبيل الدعوة وأراد أن يمنع مسيرتها شُرع القتال لإفساح المجال؛ ولهذا المسلمون لم يلزموا أحدًا ممن دخلوا بلادهم أن يعتنق الإسلام، والأمم التي أسلمت إنما أسلمت طواعية، وإنما كانوا يمهدون السبيل ويفتحون الطريق لتبليغ رسالة الإسلام، وبيان الرحمة في شريعة رب العالمين.

ثم سأل عن الإيمان، فقال: **(فَأَخْبِرْنِي عَنِ الإِيمَانِ)**، فذكر له النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أركان الإيمان:

الأول: (أَنْ تُؤْمِنَ باللهِ)، أي: أن تؤمن بوجوده الذي من لازمه أنه إله

---

(١) الحديث الثامن من الأربعين النووية، سيأتي تخريجه (ص٥١).

(٢) أخرجه البخاري (١٤٥٨)، ومسلم (١٩) من حديث ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا.

الخلق ومالكهم، وإليه أمرهم، وهو المدبر لأمورهم، وهو مالك الملك، أن تؤمن بالله إيمان الموقن بأن الأمر كله له سبحانه وتعالى.

الثاني: (وَمَلائِكَتِهِ)، الذين أخبر عنهم، وجعلهم سفراء بينه وبين عباده، وفيما يوصلونه من خير، وما قد ينزلون به من عقوبة إذا اقتضى أمر الله جَلَّوَعَلَا إنزالها؛ كما حدث في قوم لوط وعاد وثمود وفرعون، ومن قصَّ الله عَزَّوَجَلَّ أخبارهم علينا في كتابه الكريم.

نؤمن بالملائكة: من سمَّاهم الله جَلَّوَعَلَا في كتابه، أو سمَّاهم النبي صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، ونؤمن بمجملهم. قال صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**أَطَّتِ السَّمَاءُ وَحُقَّ لَهَا أَنْ تَئِطَّ؛ مَا فِيهَا مَوْضِعُ أَرْبَعِ أَصَابعَ إلا وَمَلَكٌ وَاضِعٌ جَبْهَتَهُ سَاجِدًا للهِ**»[(١)]، وقال في حديث آخر: «**إِنَّ للهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى مَلائِكَةً سَيَّارَةً..**»[(٢)] إلى آخره، أي: جوالة، فكل ما جاء عن النبي صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ في صحيح الخبر عن الملائكة نؤمن به، والله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ يقول: ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾ [المدثر: ٣١].

الثالث: (وَكُتُبِهِ)، نؤمن بكتب الله التي أنزلها على أنبيائه ورسله ليبلغوها إلى عباده، ما عرفناه من الكتب نؤمن به على ما سُمي، وما لم نعرفه نؤمن بأن لله جَلَّوَعَلَا كتبًا؛ منها ما بلغنا، ومنها ما لم يبلغنا، ما أُعْطِينا من العلم عمن سبقنا إلا ما نحتاج إلى معرفته فقط؛ لأنه ما من أمة

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٣١٢)، وابن ماجه (٤١٩٠)، وأحمد (٥/١٧٣)، وصححه الحاكم (٢/٥١٠) من حديث أبي ذر رَضِيَاللَّهُعَنْهُ.

(٢) أخرجه مسلم (٢٦٨٩) من حديث أبي هريرة رَضِيَاللَّهُعَنْهُ.

سلفت إلا وبعث الله لها نذيرًا؛ قال تعالى: ﴿وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ [فاطر:٢٤].

الرابع: (**وَرُسُلِهِ**)، نؤمن بالرسل الذين ذكرهم الله جَلَّ وَعَلَا في كتابه، أو ذكرهم نبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ونصدق ونجزم بأن هؤلاء الرسل أو الأنبياء وجدوا حقيقة لاشك فيها؛ لأن ما بلغنا بصحيح الخبر عن سيد البشر صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ علينا أن نؤمن به وأنه حق لا مرية فيه، ونعرف أسماء من ذكرهم الله جَلَّ وَعَلَا في كتابه الكريم، أو ذكرهم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

الخامس: قال: (**وَالْيَوْمِ الآخِرِ**)، وهو يوم البعث، وهو الذي يحمل من آمن به على العمل، ولولا الإيمان بالبعث لتعطلت أمور كثيرة، والناس إنما يعملون ليستجلبوا خيرًا أو ليدفعوا شرًّا؛ ليستجلبوا ثوابًا وأجرًا وتنعمًا يلقونه يوم لا ينفع مال ولا بنون، أو ليرفعوا بلاءً وأهوالًا وأخطارًا، فلولا وجود الجنة والنار ما اهتم الناس بالعمل الذي يتقون به النار، أو يستجلبون به أسباب دخول الجنة، والنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «**اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ**»(١).

الإيمان باليوم الآخر: أن يؤمن الإنسان أنه سيبعث، لماذا يبعث؟ لأجل الحساب، فما دام هناك حسابٌ فلابد من الاستعداد للامتحان.

السادس: قال: (**وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ**)، الإيمان بالقدر هو الذي زلَّت فيه الأقدام، وحصل الاختلاف والضلال المبين، ومن رحمة الله جَلَّ وَعَلَا بهذه الأمة التي وصفها بأنها خير أمة أخرجت للناس، أن جميع

---

(١) أخرجه البخاري (١٤١٣)، ومسلم (١٠١٦) من حديث عدي بن حاتم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

الأمور الخطيرة في الاعتقاد أو في أنواع الجنايات والمخالفات حدثت في الصدر الأول، في عهد الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ، وبعضها في عهد رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهذا من رحمة الله بهذه الأمة؛ ليتولى حل المشاكل العظام والنظر في الملتبسات من الأعمال والأقوال مَنْ تلقوا النور الإلهي عن محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فعندهم صفاء القلوب، وفقه النفس، ومعرفة مقاصد الشريعة في كتاب الله وسنة نبيه، فتكلم الصحابة في أمر الإيمان بالقدر، وبينوا مقاصد الشريعة، ونبذوا أقوال المبتدعة من الجهمية والقدرية وغيرهم.

فقوله: **(وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ)**، أي: تؤمن بأنه لا محيد لك عن أمر الله وقضائه، وما عليك إلا أن تعمل. ولما قال الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ: فَلِمَ نَعْمَلُ أَفَلا نَتَّكِلُ؟ قال لهم النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«اعْمَلُوا؛ فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ»**(١).

وفي هذا الحديث قال في نهاية السؤال عن الإيمان: **(قَالَ: صَدَقْتَ)**، فلابد أن الصحابة تعجبوا كيف يسأله ويصدقه كما تعجبوا في سؤال الإسلام.

قوله: **(قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الإِحْسَانِ. قَالَ: أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ)**، من شأن من يؤدي عملًا ويعلم أن صاحب العمل يراه وينظر إليه، وأنه عالم بتعاطيه ذلك العمل وما يحتاج إليه، أن يسعى لإتقان ذلك العمل الذي يقوم به؛ لينال جزاء وأجر ذلك العمل؛ وليدفع

---

(١) أخرجه البخاري (٤٩٤٩)، ومسلم (٢٦٤٧) من حديث علي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

باجتهاده وجهده محاسبته أو معاقبته إذا أخلَّ، فالإحسان: أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فاعلم أنه يراك.

قوله: **(قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ السَّاعَةِ)**، لَمَّا سأله عن الساعة قال ما معناه: مالك ولها؟ حيث قال: **(مَا المَسْؤولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ)**، أي: كلانا لا يعلم الساعة. فما قال: بلى أنت تعلمها، أو قال: لا، أنا أعلمها، ولكن قال: **(فَأَخْبِرْنِي عَنْ أَمَارَاتِهَا؟)**، أي: علاماتها، قال: **(أَنْ تَلِدَ الأَمَةُ رَبَّتَهَا، وَأَنْ تَرَى الحُفَاةَ الْعُرَاةَ الْعَالَةَ رِعَاءَ الشَّاءِ يَتَطَاوَلُونَ فِي الْبُنْيَانِ)**، وفي حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ المخرَّج في "الصحيحين"[1]، ولكنه ليس بهذا الطول قال: **«فَذَاكَ من أَشْرَاطِهَا في خَمْسٍ لَا يَعْلَمُهُنَّ إلا الله»**، ثُمَّ تَلا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلۡغَيۡثَ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡأَرۡحَامِۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسٞ مَّاذَا تَكۡسِبُ غَدٗاۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسُۢ بِأَيِّ أَرۡضٖ تَمُوتُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرُۢ﴾ [لقمان:٣٤].

قوله: **(ثُمَّ انْطَلَقَ)**، أي: انصرف جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ.

يقول عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: **(فَلَبِثْنَا مَلِيًّا)**، أي: مدة طويلة، ثم قال له النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **(يا عُمَرُ، أَتَدْرِي مَنِ السَّائِلُ؟)**، الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ كانوا على أكمل صفات طالب العلم أدبًا وإجلالًا لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولا يتقدمون بين يديه بشيء من قول أو عمل إلا إذا علموا أنه يحب ذلك الشيء منهم، فقال عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: **(اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ)**. فقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **(فَإِنَّهُ جِبْرِيلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُمْ)**.

---

(١) أخرجه البخاري (٥٠)، ومسلم (٩).

هذا الحديث اشتمل على الدين كله: الإسلام، والإيمان، والإحسان، وما يتعلق بالساعة للاستعداد لها؛ لأن السؤال عنها ليس لمجرد الاطلاع والمعرفة؛ ولهذا سمَّى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هذا المجال والمساءلات: تعليم الدين، فالسؤال عن الساعة يقتضي الاستعداد لها؛ كما قال ذلك الرجل للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَتَى السَّاعَةُ؟ قَالَ: **«وَمَاذَا أَعْدَدْتَ لَهَا؟»**؛ لأن الشأن في الشيء إذا سُئِل عنه أن يكون السائل يعد عُدَّة لذلك المسؤول عنه، قال: لَا شَيْءَ، إِلَّا أَنِّي أُحِبُّ اللهَ وَرَسُولَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: **«أَنْتَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ»**(١).

هذا الحديث الهامُّ العظيم هو في الحقيقة يشتمل على الدين كله، في ظاهره وباطنه، يعني: على أعمال الجوارح وأعمال القلوب، والإيمان بما غاب عنا مما أخبر الله أو أخبر عنه رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والإيمان بأن الساعة آتية لا ريب فيها، ولكن متى تكون؟ قال تعالى: ﴿لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً﴾ [الأعراف:١٨٧]، لكن لها علامات أخبر عنها النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من علامات الساعة، حيث قال: **«بُعِثْتُ وَالسَّاعَةُ كَهَاتَيْنِ»**(٢). والعلامات التي ذكرها النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لجبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ تكاد تكون مضت كلها، فالصحابة فتحوا الفتوح، وتَسَرَّى الناس بالمسريات، ثم ولدت تلك المسريات أبناءً أسيادهن، فصار ابنها سيدها،

---

(١) أخرجه البخاري (٤٩٣٦) من حديث سهل بن سعد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ومسلم (٨٦٧) من حديث جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٢) أخرجه البخاري (٣٦٨٨)، ومسلم (٢٦٣٩) من حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وهكذا، وكان ذلك يوم كان المسلمون غزاة غير مغزوِّين، يوم كانوا سادة غير مسودين، يوم كان الرَّهَبُ يسبقهم؛ لأنهم حملوا هذا الدين في وقت طراوته وغضاضته وقد استمر غضًّا طريًّا، لكن ضعف الحاملون له!

نسأل الله أن يعز دينه، ويعلي كلمته، ويخذل أعداءه، وأن يرينا في أمتنا وفي بلادنا وبلاد المسلمين ما يسعد له ويفرح به كل مؤمن، ويشقى به كل كافر ومنافق، والله جَلَّ وَعَلَا فعَّال لما يريد.

الحديث الثالث

عَـــنْ عَبْـــدِ اللهِ بْـــنِ عُمَـــرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَـــالَ: قَـــالَ رَسُـــولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «بُنِيَ الإِسْلامُ عَلَى خَمْسٍ: شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَإِقَامِ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَالحَجِّ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ». رواه البخاري ومسلم[1].

الشـــرح

هذا الحديث ومن المصادفات التي قد لا تكون مقصودة أن هذه الأحاديث الثلاث المتوالية ذكرها الإمام النووي رَحِمَهُ اللَّهُ عن أمير المؤمنين وابنه عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وكلها تتعلق بأساس العمل وبالأعمال الظاهرة والأعمال الباطنة.

هذا الحديث -حديث عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا- فيه بيان أن هذه الأعمال أركان الإسلام، والركن لا يتم البناء إلا به لمن يقدر أن يقيم هذا البناء، وأما من عجز عن ركن عجزًا استحال عليه أداؤه، فالله جَلَّ وَعَلَا عفو كريم.

قوله: **(شَهَادَةِ أَنْ لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ)**، الشهادتان هما أساس الدين، ولا يُقال فيهما: يكفي أن الإنسان يعتقدهما بقلبه. فلا يكون العبد مسلمًا ولا مؤمنًا إلا أن ينطق بالشهادتين؛ ولذلك ترتب أمرهما بالصلاة، فلا تكون صلاة إلا إذا اشتملت الصلاة على الشهادتين.

(١) أخرجه البخاري (٨، ٤٥١٤)، ومسلم (١٦).

قوله: (**وَإِقَامِ الصَّلاَةِ**)، ليس المراد مجرد أدائها، وإنما الإقامة، بمعنى أن تكون كاملة البناء.

قوله: (**وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ**)، كما فرضها الله جَلَّ وَعَلَا، والأصل أنها كما قال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في حديث معاذ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «**فَأَعْلِمْهُمْ أَنَّ اللهَ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ صَدَقَةً فِي أَمْوَالِهِمْ تُؤْخَذُ مِنْ أَغْنِيَائِهِمْ وَتُرَدُّ عَلَى فُقَرَائِهِمْ**»، ثم قال: «**فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لَكَ بِذَلِكَ فَإِيَّاكَ وَكَرَائِمَ أَمْوَالِهِمْ، وَاتَّقِ دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ**»(١)، فأداء الزكاة أصلها: أن تؤدى للفقراء، لكن يجوز أن تؤدى للسلطة إذا طلبتها، أو إذا لم يعلم مالك المال أهل المستحقين لها، فإذا دفعها للسلطة القائمة بأمر الله تبرأ ذمته.

في حديث عبد الله بن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قدَّم الحج على الصيام؛ لأنه قال: «**وَالحَجِّ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ**»، وبقية الأحاديث التي جاء فيها ذكر الأعمال يأتي الحج بعد الصيام؛ لما له من التراخي المرتبط بعدم القدرة، قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [آل عمران:٩٧]، هذه الأركان الخمسة هي أركان الدين، وهي واضحة في حديث جبريل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، لكنها هنا أكثر وضوحًا: (**بُنِيَ الإِسْلامُ عَلَى خَمْسٍ**)، فهي دعائمه وأركانه.

---

(١) تقدم تخريجه (ص٢٦).

الحديث الرابع

عَنْ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: حَدَّثَنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهو الصَّادِقُ الْمَصْدُوقُ: «إِنَّ أَحَدَكُم يُجْمَعُ خَلْقُهُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا، ثُمَّ يَكُونُ عَلَقَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَكُونُ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَ يُرْسَلُ إِلَيْهِ المَلَكُ، فَينْفُخُ فِيهِ الرُّوحَ، وَيُؤْمَرَ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ: بِكَتْبِ رِزْقِهِ، وَأَجَلِهِ، وَعَمَلِهِ، وَشَقِيٌّ أَوْ سَعِيدٌ، فَوَاللهِ الَّذِي لَا إِلَهَ غَيْرُهُ؛ إِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بَعَمَلِ أَهْلِ الجَنَّةِ، حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ، فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ فَيَدْخُلُهَا، وَإِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بَعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ، فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَيَدْخُلُهَا». رواه البخاري ومسلم[١].

الشرح

راوي هذا الحديث الصحيح هو عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أحد علماء الصحابة وكبرائهم وفقهائهم الذين أثنى عليهم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وهذا الحديث حديث هامٌّ يتعلق بأمر الأعمال بالخواتيم، ونفوذ قضاء الله وقدره وتدبيره لكونه، بيَّن فيه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حال الإنسان من

(١) أخرجه البخاري (٣٢٠٨)، ومسلم (٢٦٤٣).

بداية أمره عند اجتماع الأبوين واحتمالات تكوين هذا الإنسان، وقد ذكر الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بدء خلق ابن آدم، فقال جَلَّ وَعَلَا: ﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ۝ خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ﴾ [الطارق:٥، ٦]، هذا بدء خلقه الثاني، وأما خلقه الأول فقد ذكر الله عَزَّوَجَلَّ أنه خلق آدم من تراب: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ ۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [آل عمران:٥٩].

فهذا الحديث يُبيِّن فيه -صلوات الله وسلامه عليه- أنَّ النطفة إذا وقعت في الرحم مكثت أربعين يومًا نطفة، ثم مكثت أربعين يومًا علقة، ثم أربعين يومًا مضغة، هذا إذا كتب لها أن تكون مخلقة؛ لأنه جاء في الحديث الآخر: «**إِذَا وَقَعَتِ النُّطْفَةُ فِي الرَّحِمِ بَعَثَ اللهُ مَلَكًا، فَقَالَ: يَا رَبُّ مُخَلَّقَةٌ أَوْ غَيْرُ مُخَلَّقَةٍ؟ فَإِنْ قَالَ: غَيْرُ مُخَلَّقَةٍ، مَجَّتْهَا الأَرْحَامُ دَمًا**»(١)، أمَّا إذا كانت مخلقة فإنها تمكث هذه الأطوار الثلاثة: نطفة، ثم علقة، ثم مضغة، ثم يكلف الملك بما نص عليه هذا الحديث، والله جَلَّ وَعَلَا قادر على أن يكون ذلك كله دون بعث ملك؛ لأنه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [يس:٨٢]؛ كما في خلق السموات والأرض: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ﴾ [فصلت:١١]، فالله قادر على أن يُقدِّر كل شيء دون أن يضع ذلك في كتاب، ولكن أمره كله حكمة وعدل

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (١١٧/١٧) موقوفًا على ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. قال ابن حجر في فتح الباري (١/ ٤١٩): «إسناده صحيح، وهو موقوف لفظًا مرفوع حكمًا».

وكمال لا اعوجاج فيه.

قوله: **(وَهو الصَّادِقُ الْمصْدُوقُ)**، هذا القول من ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ ليزيل احتمال فهم أنه غير صادق في مقاله، فقال: **(حَدَّثنَا ... وَهو الصَّادِقُ الْمصْدُوقُ)** أي: أنه الصادق فيما يقول، ولا يحتاج إلى أن يحلف، ولكنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يؤكد الأمر بالحلف كما يقول: **«فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ»**، وأمثال ذلك.

يقول المصطفى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ويقسم -وهو مصدق ولو لم يحلف-: **(فوالله الَّذِي لَا إِلَهَ غَيْرُهُ، إِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الجَنَّةِ، حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ، فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ فَيَدْخُلُهَا)**؛ لأن الأعمال بالخواتيم، أي: العبرة بما يُختم للمرء به من العمل.

ولهذا جاء في الحديث الآخر أن رجلاً من أصحاب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان في إحدى الغزوات لا يدع للعدو شاذَّة ولا فاذَّة إلَّا اتبعها يضربها بسيفه، فأعجب به الصحابة وأثنوا عليه عند رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وقالوا: «مَا أَجْزَأَ مِنَّا الْيَوْمَ أَحَدٌ كَمَا أَجْزَأَ فُلانٌ»، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«أَمَا إِنَّهُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ»**، فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ: «أَنَا صَاحِبُهُ»، أي: أقوم بمتابعته حتى أنظر كيف يفعل، فأصابت الرجلَ جراحةٌ ولكنها مؤلمة، فلم يصبر على قضاء الله وقدره، فوضع سيفه بالأرض وذبابه(١) بين ثدييه، ثم تحامل على سيفه فقتل نفسه، فجاء المتتبع له وقص ما رأى للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وقال: «أَشْهَدُ أَنَّكَ رَسُولُ اللهِ»؛

---

(١) ذباب السيف: حد طرفه الذي بين شفرتيه. يُنظر: لسان العرب (١/ ٣٨٣).

لأن النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ أخبرهم أنه من أهل النار، فلما قتل نفسه أكد لهم شهادة رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ الذي لا ينطق عن الهوى، قال تعالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم:٣، ٤]، فقال رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: **«إِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ عَمَلَ أَهْلِ الجَنَّةِ فِيمَا يَبْدُو لِلنَّاسِ وَهُوَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ عَمَلَ أَهْلِ النَّارِ فِيمَا يَبْدُو لِلنَّاسِ وَهُوَ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ»**(١)، فالعبرة بالخواتيم؛ ولهذا يحرص العبد أن يسأل ربه أن تكون خاتمته خاتمة حسنة.

واختلف العلماء: كيف يعمل الإنسان العمل الصالح ثم لا يُحفظ بعمله؟ قيل: إنه يعمل العمل كما في قوله: **«إِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ عَمَلَ أَهْلِ الجَنَّةِ فِيمَا يَبْدُو لِلنَّاسِ»**، وقد لا يكون كذلك.

ولكن قوله: **(فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ)** يدل على أنه قبل أن يسبق عليه هذا الفعل الذي فُرض في كتابه ما كان كذلك، وإنما على الإنسان أن يؤمن بقضاء الله وقدره؛ ولهذا كان المصطفى صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ يكثر أن يقول: **«يا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قلبي على دَيْنِكَ»**، فقيل له: إنك تُكْثِرُ أن تَقُولَ: يا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قلبي على دَيْنِكَ وَطَاعَتِكَ، قال: **«وَمَا يُؤَمِّنُنِي! وَإِنَّمَا قُلُوبُ الْعِبَادِ بين أُصْبُعَي الرَّحْمَنِ، إِنَّهُ إِذَا أَرَادَ أَنْ يُقَلِّبَ قَلْبَ عَبْدٍ قَلَّبَهُ»**(٢).

فهذا الحديث هامٌّ جدًّا فيما يتعلق بالعمل، وأن الإنسان لا يغتر

---

(١) أخرجه البخاري (٢٨٩٨)، ومسلم (١١٢) من حديث سهل بن سعد الساعدي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.
وفي رواية عند البخاري (٦٦٠٧) فيها زيادة: **«وَإِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالخَوَاتِيمِ»**.

(٢) أخرجه أحمد (٦/ ٢٥٠)، وأبو يعلى (٨/ ١٢٨) من حديث عائشة رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا.

بعمله، فقد يعجب المرء بعمله وكثرة عبادته فيأخذ منه الغرور كل مأخذ، ثم يقول: لماذا أكون في هذه الحال وهذا جِدِّي واجتهادي، ومع ذلك يُصرف عني ما أطلبه، ويُعطى لمن هم أقل مني عملًا وجهدًا ما يطلبون؟! فيمتن على الله بعمله.

والعُجب والامتنان على الله يحبط العمل؛ لأنه ما من توفيق لعمل صالح إلا نعمة من الله ينعم بها على العبد وتستلزم شكر المنعم، فإذا ذكر الإنسانُ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ فهذا فضلٌ من الله عليه، نعمة عظيمة تستدعي شكرها؛ ولهذا لا يمل المؤمن من الشكر وتكرار الحمد والثناء على الله، فهو يرى أن كل توفيق منة ونعمة تستدعي أن تواجه بالشكر للمنعم جَلَّ وَعَلَا.

الحديث الخامس

وَعَنْ أمِّ المُؤْمِنِينَ أمِّ عَبْدِ اللهِ عائشةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ»، رواه البخاري ومسلم[١].

وفي رواية لمسلمٍ: «مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ»[٢].

الشرح

هذا الحديث الهام الذي ترويه أم المؤمنين عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا عن نبي الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيه رسم لمجال العمل، وأنه لا يُتقرب إلى الله جَلَّ وَعَلَا إلَّا بما شرعه رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ ولهذا كان من معاني شهادة (أن محمدًا رسول الله): أن لا يُعبد الله إلا بما شرعه رسول الله؛ كما ذكرها شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب رَحِمَهُ اللَّهُ في "ثلاثة الأصول"، قال: «ومعنى شهادة أن محمدًا رسول الله: طاعته فيما أمر، وتصديقه فيما أخبر، واجتناب ما عنه نهى وزجر، وأن لا يُعبد الله إلا بما شرع»[٣].

قوله: (**مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ**)، أي: من أراد أن يتقرب إلى الله بشيء لم يشرعه رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فالعمل مردود

---

(١) أخرجه البخاري (٢٦٩٧)، ومسلم (١٧١٨) واللفظ له.

(٢) أخرجه مسلم (١٧١٨)، وأخرجه البخاري معلقًا في كتاب البيوع، باب: النجش، قبل الحديث رقم (٢١٤٢)، وفي كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب: إذا اجتهد العامل أو الحاكم فأخطأ، قبل الحديث رقم (٧٣٥٠).

(٣) ثلاثة الأصول (ص ١٩٠).

عليه، ويوضح هذا الرواية الأخرى: **(مَنْ عَمِلَ عَمَلًا)**، حتى ولو أحدث العمل غيره.

وبالمناسبة: من كان يشترك في الموالد ويقول: أنا لم أحدث هذه الموالد، ولم أشترك في إحداث الموالد، وإنما أحدثها الأولون.

يُقال له: تحقيق ذلك قول النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **(مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ)**، أي: أن هذا الرد يشمل عمل من أحدث العمل ابتداءً، ويشمل عمل من اقتدى بغيره إذا كان العمل الذي أحدثه غيره على غير أمر رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ لأن العبادة -كما يقول العلماء- أمر توقيفي، لا يتعبد الإنسان لربه عَزَّ وَجَلَّ بما يشاء ويرى، وإنما يتعبد لله بما جاء في كتاب الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أو عن رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فلا يتقرب إلى الله ويتعبد إلا بما شرعه المولى سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ في كتابه أو على لسان نبيه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وهذا الحديث كاف في منع البدع، أعني: بدع العبادة على اختلاف أشكالها، وأما بدع الاختراع والبناء وأنواع الخدمات التي تُستحدث فليست مقصودة بذلك، وإنما المقصود بالبدع وأنها ضلالة: ما كان من بدع عبادية؛ لأن الدين كَمُل، فلا حاجة للناس أن يبتدعوا، قال الله جَلَّ وَعَلَا: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة:٣].

فدين الله كَمُل لا يحتاج إلى إضافات، والله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أعلم بما يحتاج إليه العباد في أمور معاشهم وميعادهم وحياتهم وعباداتهم.

فتعظيم السنة والاستكفاء بها مع كتاب الله عَزَّوَجَلَّ -لأنها تبيان لهذا الكتاب- هو السعادة في الدنيا، والأمن في مصيرها، والسبب العظيم في نيل الدرجات التي أعدها الله للعباد.

الحديث السادس

عَنْ أَبِي عَبْدِ اللهِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «إِنَّ الحَلَالَ بَيِّنٌ، وإِنَّ الحَرَامَ بَيِّنٌ، وَبَيْنَهُمَا أُمُورٌ مُشْتَبِهَاتٌ، لَا يَعْلَمُهُنَّ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ، فَمَنِ اتَّقَى الشُّبُهَاتِ [فَقَدِ][1] اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعِرْضِهِ، وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ وَقَعَ فِي الحَرَامِ، كَالرَّاعِي يَرْعَى حَوْلَ الحِمَى، يُوشِكُ أَنْ يَرْتَعَ فِيهِ، أَلَا وَإِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمًى، أَلاَ وَإِنَّ حِمَى اللَّهِ مَحَارِمُهُ، أَلَا وَإِنَّ فِي الجَسَدِ مُضْغَةً، إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الجَسَدُ كُلُّهُ، أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ». رواه البخاري ومسلم[2].

الشرح

هذا الحديث من الأحاديث التي عليها مدار الإسلام، يُبين فيه المصطفى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن ما يحتاج إليه العباد حاجة ملحة هو بيِّن لا خفاء به، وأن ما يضر العبد ضررًا بالغًا هو بيِّن لا خفاء به، وهناك ما بين هذا وذاك لا يعرفه إلا خاصة النَّاس ممن رُزق البصيرة في الدين والفقه فيه.

قوله: (إِنَّ الحَلَالَ بَيِّنٌ)، أي: ما يحتاج الناس إليه حاجة ملحة

---

(١) هذا اللفظ: «فقد» ورد في مسند أبي عوانة (٣/٣٩٧).

(٢) أخرجه البخاري (٥٢، ٢٠٥١)، ومسلم (١٥٩٩).

لا استغناء لهم عنه من مآكل ومشارب ومكاسب ونحو ذلك **(بَيِّنٌ)**، أي: يشترك في معرفته عامة الناس.

قوله: **(وإِنَّ الحَرَامَ بَيِّنٌ)**، أي: الحرام الذي لا مجال للتجاوز على حدوده **(بَيِّنٌ)**؛ كسلب أموال الناس بغير رضاهم، وما يدور في هذا الفلك بيِّن، وما نص عليه القرآن والسنة من الذبائح المحرمة واللحوم المحرمة بيِّن.

قوله: **(وَبَيْنَهُمَا أُمُورٌ مُشْتَبِهَاتٌ)**، أي: أن هناك أمورًا تخفى على كثير من الناس.

فالأمور ثلاثة أقسام:

١- قسم حلال لا إشكال فيه.

٢- وقسم حرام لا إشكال فيه.

٣- وقسم لا يستطيع علمه إلا خاصة الناس.

وهنا يأتي أمر التورع، قال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«دَعْ مَا يَرِيبُكَ إِلَى مَا لَا يَرِيبُكَ»**[1]، فيترك المرء ما أشكل عليه وما التبس عليه أمره؛ لأن فيما لا التباس فيه ولا إشكال غُنية عن الوقوع فيما أشكل، ومن لم يأخذ بالتورع يوشك أن تَزِلَّ به القَدَمُ.

قوله: **(فَمَنِ اتَّقَى الشُّبُهَاتِ)**، أي: من جعل بينه وبين ما اشتبه وقاية لا يحتاج إليه، ولم يجعل الله عليه حرجًا في دينه، لم يبق في موقف حرج لا تنحل أموره ولا تنقضي حاجته إلى ضرورياته إلا بالمشتبهات، بل

(١) هذا الحديث الحادي عشر من الأربعين النووية؛ سيأتي تخريجه (ص٥٧).

يَسَّرَ الله على عباده، فمن اتقى الشبهات بمنع النفس أن تزل إلى ما لا تتيقن سلامته، قال: (**فَقَدِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعِرْضِهِ**)، فلا يقع في عملٍ ولا يأتي عملًا يُردُّ عليه.

وقد يكثر المرء العمل، ولكن لا يكون على هدى، فإذا رُدَّ عليه صار مع المفلسين؛ لأن هذه الأعمال في الدنيا تجارات ومرابحة، من كانت متاجرته متاجرة سليمة صارت نهايته رابحة، ومن كانت تجارته خلاف ذلك كانت نهايته نهاية المفلسين، (**فَمَنِ اتَّقَى الشُّبُهَاتِ فَقَدِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعِرْضِهِ**)، أي: أخذ البراءة لدينه فلم يرتكب ما حرَّم الله عليه، وأخذ البراءة لعرضه فلم يتحدث الناس عنه بأنه جريء على ما حلَّ وحرم، ولا أنه غير متثبت ومستبصر، بل يُقال عنه: هذا الحلال ما حل بيده، والحرام ما حُرِم الوصول إليه! (**وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ وَقَعَ فِي الحَرَامِ**).

قوله: (**كَالرَّاعِي يَرْعَى حَوْلَ الحِمَى يُوشِكُ أَنْ يَرْتَعَ فِيهِ**)، يمثل صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ للناس أمثلة يعلمونها ويعرفونها من واقع حياتهم، فعامة أصحابه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وكثير ممن يأتي بعدهم أرباب ماشية ترعى في مراعٍ، وقد ترعى في مرعى بجانبه ما هو ممنوع، فإذا كان راعي الماشية حازمًا يقظًا تجنب محارم الممنوع.

قوله: (**أَلَا وَإِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمًى**)، فملوك الدنيا لهم حماهم التي يمنعون الناس منها، (**أَلَا وَإِنَّ حِمَى اللهِ مَحَارِمُهُ**)، حمى الله جَلَّ وَعَلَا: المحارم التي حرَّمها على العباد، من دنا منها أوشك أن تتطلع نفسه إلى ما وراء الحد، فإن رَدَعَ نفسه وردَّها لتقف عند حدود الله سَلِم، وإن جمحت النفس -والنفس جماحة- جرَّته إلى المهالك، وأوردته موارد الرَّدى.

وكيف يصون المرء نفسه؟

عند المرء جهازٌ إن صلح واستقام أمسك الجماح عن التجاوز، قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (**أَلَا وَإِنَّ فِي الجَسَدِ مُضْغَةً، إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الجَسَدُ كُلُّهُ، أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ**)، هذا القلب الذي قال الله عَزَّوَجَلَّ عنه: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ﴾ [الحج:٤٦]، هذا القلب إن صلح وكان عامرًا بالإيمان أثمر الإيمان مخافة الله، فعَقَله عن التقدم إلى ما لا يحل له التقدم إليه، وصلاح هذا الجهاز -أي: القلب- بالإكثار من الطاعة عن طريق اتِّباع السنة، والإكثار بذكر الله ﴿أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾ [الرعد:٢٨]، والإكثار من التوبة؛ لأن الذنب يسبب مرض القلب، وعلاج القلوب من أمراضها يكون بالإقلاع عن الذنوب، والإكثار من التوبة والاستغفار، والموفق من وفقه الله.

والمصطفى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مع أنه قد غُفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر كان الصحابة يعدون له في المجلس الواحد من الاستغفار أكثر من مائة مرة[1]، ويتوب في اليوم أكثر من مائة مرة[2]، وكما قالت عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا -وقد ذُكِرَ عندها قَوْمٌ يزعمون أنهم إذا أدوا الفرائضَ لا يبالُون

---

(١) كما في حديث ابن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قال: كان يُعَدُّ لِرَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في المَجْلِسِ الْوَاحِدِ مِائَةُ مَرَّةٍ من قَبْلِ أَنْ يَقُومَ: «**رَبِّ اغْفِرْ لِي وَتُبْ عَلَيَّ إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الْغَفُورُ**». أخرجه أبو داود (١٥١٦)، الترمذي (٣٤٣٤)، والنسائي في الكبرى (٦/ ١١٩).

(٢) قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**يا أَيُّهَا النَّاس تُوبُوا إِلى اللهِ، فَإِنِّي أَتُوبُ فِي الْيَوْمِ إليه مِائَةَ مَرَّةٍ**». أخرجه البخاري في الأدب (١/ ٢١٨)، ومسلم (٢٧٠٢) من حديث الأغر، رجل من جهينة.

أن يتزيدوا-: «لَعَمْرِي! لَا يَسْأَلُهُمُ اللَّهُ إِلَّا عَمَّا افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ، وَلَكِنَّهُمْ قَوْمٌ يُخْطِئُونَ بِالنَّهَارِ، وَإِنَّمَا أَنْتُمْ مِنْ نَبِيِّكُمْ وَنَبِيُّكُمْ مِنْكُمْ، فَمَا رَأَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَرَكَ قِيَامَ اللَّيْلِ إِلَّا أَنْ يَمْرَضَ فَيُصَلِّي وَهُوَ جَالِسٌ»(١).

فيحتاج المسلم إلى أن يحسن الاقتداء به صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

ثم إن الإكثار من الاستغفار من أعظم أسباب تيسير أمور الدنيا وتحصيل مطالبها، يقول الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى حكاية عن نبيه نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ۝١٠ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ۝١١ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا﴾ [نوح:١٠ - ١٢]، فالموفَّق من أخذ بأسباب السلامة، نسأل الله أن يحقق السلامة لنا جميعًا.

---

(١) أخرجه المروزي في مختصر قيام الليل (ص٣٣)، والطبراني في مسند الشاميين (٣/ ١٢٢).

الحديث السابع

وَعَنْ أَبِي رُقَيَّةَ تَمِيمِ بْنِ أَوْسٍ الدَّارِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «الدِّينُ النَّصِيحَةُ»، قُلْنَا: لِمَنْ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «للهِ، وَلِكِتَابِهِ، وَلِرَسُولِهِ، وَلأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ، وَعَامَّتِهِم»، رواه مسلم[1].

الشرح

هذا الحديث بيَّن فيه رسول الهدى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مكانة النصيحة في الدين، وأنها الدين كله، قال: (**الدِّينُ النَّصِيحَةُ**)، وكرَّرها صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثلاث مرات وهو يخاطب أصحابه، فشيء هو الدين ويؤكده الرسول المصطفى ثلاث مرات أحبَّ صحابة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يعرفوه، فقالوا: (**لِمَنْ يَا رَسُولَ اللهِ؟**)، قال: (**للهِ، وَلِكِتَابِهِ، وَلِرَسُولِهِ، وَلأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ، وَعَامَّتِهِم**).

قوله: (**للهِ**)، النصيحة لله جَلَّ وَعَلَا هي الإيمان به، وأنه رب هذا الكون وخالقه، وأنه المستحق لأن يُعبد وحده، وأن لا يُشرك معه غيره، كما في حديث معاذ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**يَا مُعَاذُ، هَلْ تَدْرِي مَا حَقُّ اللهِ عَلَى عِبَادِهِ، وَمَا حَقُّ الْعِبَادِ عَلَى اللهِ؟**» قال: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قال: «**فَإِنَّ حَقَّ اللهِ عَلَى الْعِبَادِ: أَنْ يَعْبُدُوهُ وَلَا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا**»[2]،

---

(١) برقم (٥٥).

(٢) أخرجه البخاري (٢٨٥٦)، ومسلم (٣٠).

فالنصيحة: هي الخلوص[1]، والنصيحة لله: أن يسلم الإنسان أمره لله، ويخلص له في العبادة، ويؤمن بوجوده وهيمنته على خلقه واطلاعه عليهم وتدبير شؤونهم، وأن الأمر كله له، إلى كل ما يتعلق بالإيمان بأسمائه وصفاته، وتدبيره وقضائه وقدره، وما يوجده وما أوجده، وما أوجد من ملائكة، وأرسل من رسل، إلى غير ذلك.

قوله: **(وَلِكِتَابِهِ)**، النصيحة لكتاب الله جَلَّ وَعَلَا: الإيمان بأنه كلام الله، وأنه أشرف كلامه وأجلُّه، وأنه الذي لا يضاهيه كلام، وأن فيه أصول كل ما يحتاج إليه الخلق من أصول العبادات والمعاملات، وأخبار الماضين وأخبار ما يكون الناس إليه، وأن العدل كله فيما دلَّ عليه القرآن والسنة، ومن النصح له: التلذذ بتلاوته، والوقوف عند حدوده، والائتمار بأوامره، والتأدب بما اشتمل عليه من الآداب التي لا شيء مثلها ولا أكمل منها.

قوله: **(وَلِرَسُولِهِ)**، النصح لرسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: الإيمان بأنه رسول الله، وأن الله أرسله رحمة للعالمين، وأنه قام بهذا الدين حق القيام، وأنه ترك الأمة بعد أن أبان لها كل ما تحتاج إليه في مسيرتها في حياتها إلى أن يدخل الناس منازلهم: السعداء في الجنة، والأشقياء في النار، نسأل الله السلامة من هؤلاء وأن نكون مع السعداء.

قوله: **(وَلأَئِمَّةِ المُسْلِمِينَ)**، النصيحة لأئمة المسلمين: معاونتهم على أداء ما يحقق مصلحة الأمة، والتعاون معهم في ذلك، والدعاء لهم

---

(١) يُقال: نصح الشيء؛ إذا خلص من الشوائب وغيرها، والناصح: الخالص من العسل وغيره، وكل شيء خلص فقد نصح. ينظر: لسان العرب (٢/ ٦١٥) (نصح).

بالتوفيق لمن لا يستطيع مناصحتهم وجهًا لوجه، وأن يسأل الله لهم أن يحقق بهم الخير لعباد الله، ويصد بهم الشر عنهم، وأن يمنحهم السداد في الأمر بما يرضي الله، ويعينهم على تحكيم كتاب الله وسنة نبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فإنه لا يتم للإنسان إيمان حتى يكون ناصحًا لمن ولَّاه الله الأمر، وهذا ما وصى به النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أصحابه وأمته من بعده بقوله: **«والنُّصْحُ لِمَنْ وَلَّاهُ اللهُ عَلَيْكُمُ الأَمْرَ»**[1]، فالنصح له غير الحق له، ودعوته للقيام به، ومعاونته في أدائه، والدعاء له بالتوفيق في سلوك الطريق المؤدي لمرضاة الله.

قوله: **(وَعَامَّتِهِم)**، النصيحة لعامة المسلمين: ببيان ما يحتاجون إلى بيانه، وإعانتهم فيما يحتاجون إلى الإعانة به، والتعاون معهم على البر والتقوى، وإرشاد جاهلهم، ونصح غافلهم، وإعانة مظلومهم، وتفريج كربة مكروبهم، والدعاء لهم بالصلاح، وبيان خطأ من أخطأ، وكبح جماح من ظلم، وقد قال المصطفى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«انْصُرْ أَخَاكَ ظَالِمًا أو مَظْلُومًا»**، قالوا: يا رَسُولَ اللهِ هذا نَنْصُرُهُ مَظْلُومًا، فَكَيْفَ نَنْصُرُهُ ظَالِمًا؟! قال: **«تَأْخُذُ فَوْقَ يَدَيْهِ»**[2]، فمن رأيته يظلم وأنت تقدر على منعه ترده عن الظلم، هذا من النصيحة له، بل إن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في مبايعاته لمن أسلم من أصحابه كان يبايعهم على **«النُّصْحِ لِكُلِّ مُسْلِمٍ»**[3].

---

(١) أخرجه الطبراني في الأوسط (٩/ ١٧٠) من حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه البخاري (٢٤٤٤) من حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ومسلم بنحوه (٢٥٨٤) من حديث جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٣) أخرجه البخاري (٥٧)، ومسلم (٥٦) من حديث جرير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

الحديث الثامن

عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لَّا إِلَه إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ، وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ، فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّ الإِسْلَامِ، وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللهِ».

رواه البخاري ومسلم[١].

الشرح

هذا الحديث مشتمل على ما يحقق حرمة المسلم، وأن الأصل حرمة دماء المسلمين وأموالهم، لكنه قد تحل هذه الحرمة إذا ارتكب مقتضى حِلها، وإنما تكون هذه الحرمة إذا شهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، وأقام الصلاة، وآتى الزكاة إذا ملك مالًا للزكاة.

قوله: (**فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ عَصَمُوا منِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ**)، يدل على حرمة أموال المسلمين ودمائهم على كل أحد، فنفس المسلم على المسلم حرام لا تزول حرمتها إلا بارتكاب موجب زوالها، وكذلك مال المسلم معصوم لا يحل شيء منه إلا بارتكاب موجب زوال الحرمة، أو بطيب نفس منه؛ لقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لَا يَحِلُّ مَالُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ إِلَّا بِطِيبِ نَفْسٍ مِنْهُ**»[٢].

---

(١) أخرجه البخاري (٢٥)، ومسلم (٢٢).

(٢) أخرجه أحمد (٥/ ٧٢)، وأبو يعلى (٣/ ١٤٠)، والدارقطني (٣/ ٢٦)، والبيهقي (٦/ ١٠٠) من =

فصيانة المال والنفس بالقيام بالشهادتين، وإقامة الصلاة، وأداء الزكاة، أما بقية أركان الإسلام فمن جحدها وقال: لا حاجة إليها. فهذا يُستتاب، فإن تاب وإلا قُتل؛ لأن هدم ركن من أركان الإسلام والإصرار على ذلك يقتضي زوال العصمة.

قوله: **(إِلَّا بِحَقِّ الإِسْلاَمِ، وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللهِ)**، يعنى: أن له الظاهر، وأما بواطن أمورهم فلا يعلمها إلا الخلاق العليم الذي يعلم هواجس النفوس، المطلع على السرائر والضمائر، الذي يعلم السر في السَّموات والأرض، العالم بما كان وما يكون وما لم يكن لو كان كيف يكون.

نسأل الله جَلَّوَعَلَا بأسمائه وصفاته أن يحفظنا جميعًا من بين أيدينا ومن خلفنا، وأن يقيل عثراتنا، ويغفر زلاتنا، وأن يرحمنا برحمته التي وسعت كل شيء.

=

حديث أبي حُرَّة الرقاشي عن عمه رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ. قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٣/٢٦٦): «وأبو حرة الرقاشي وثقه أبو داود وضعفه ابن معين، وفيه علي بن زيد، وفيه كلام».

الحديث التاسع

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ صَخْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «مَا نَهَيْتُكُمْ عَنْهُ فَاجْتَنِبُوهُ، وَمَا أَمَرْتُكُمْ بِهِ فَأْتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ، فَإِنَّمَا أَهْلَكَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ: كَثْرَةُ مَسَائِلِهِمْ، وَاخْتِلَافُهُم عَلَى أَنْبِيَائِهِمْ». رواه البخاري ومسلم(١).

الشرح

هذا الحديث جزء من حديث تكلم به رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أمر الناس -عليه أفضل الصلاة والتسليم- بالحج، فقال: **«أَيُّهَا النَّاس! قَدْ فَرَضَ اللهُ عَلَيْكُمُ الحَجَّ فَحُجُّوا»**، فقال الأقرع بن حابس التميمي: أَكُلَّ عَامٍ يا رَسُولَ الله؟ فَسَكَتَ، ولكن الأقرع كررها ثلاثًا، فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«لَوْ قُلْتُ: نَعَمْ؛ لَوَجَبَتْ، وَلَمَا اسْتَطَعْتُمْ»**، ثُمَّ قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«ذَرُونِي ما تَرَكْتُكُمْ، فَإِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كان قَبْلَكُمْ بِكَثْرَةِ سُؤَالِهِمْ، وَاخْتِلَافِهِمْ على أَنْبِيَائِهِمْ، فَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِشَيْءٍ فَأْتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ، وإذا نَهَيْتُكُمْ عن شَيْءٍ فَدَعُوهُ»**.

وقد أخذ العلماء من هذا الحديث أن الأمر لا يقتضي التكرار إلَّا بقرينة، فالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: **«ذَرُونِي مَا تَرَكْتُكُمْ»**، وأنزل الله جَلَّ وَعَلَا: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَسۡـَٔلُواْ عَنۡ أَشۡيَآءَ إِن تُبۡدَ لَكُمۡ تَسُؤۡكُمۡ﴾ [المائدة:١٠١]، فنُهِي الناس أن يكثروا من الأسئلة للنبي

---

(١) أخرجه البخاري (٧٢٨٨)، ومسلم (١٣٣٧).

صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والنبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: **«لَوْ قُلْتُ: نَعَمْ؛ لَوَجَبَتْ، وَلَمَا اسْتَطَعْتُمْ»**.

هذا الأمر متعلق بحياة النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أعني: النهي عن كثرة السؤال؛ ولذلك جاء في الحديث الآخر: «إِنَّهُ كَانَ يَنْهَى عَنْ قِيلَ وَقَالَ، وَكَثْرَةِ السُّؤَالِ، وَإِضَاعَةِ الـمَالِ، وَكَانَ يَنْهَى عَنْ عُقُوقِ الْأُمَّهَاتِ، وَوَأْدِ الْبَنَاتِ، وَمَنْعٍ وَهَاتِ»[(١)]. فالمسلم عليه أن يُسَلِّم للأمر، وما أشكل عليه يسأل عنه العارفين به.

ومن رحمة الله جَلَّ وَعَلَا أنه جعل الحج في العمر مرة، ولو جُعل الحج في كل عام ما قدر الناس قطعًا، ولو قدروا ما اتسع لهم المكان؛ لأن المسلمين الآن بهذا العدد الكثير لو حج ربعهم بل لو حج واحد من كل ألف منهم لكان شاقًّا! ولكن رحمة أرحم الراحمين اقتضت أن الحج في العمر مرَّة، وما زاد على ذلك فتقرب إلى الله بنوافل الطاعات، وقد قال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«تَابِعُوا بين الحَجِّ وَالْعُمْرَةِ، فَإِنَّهُمَا يَنْفِيَانِ الْفَقْرَ وَالذُّنُوبَ كما يَنْفِي الْكِيرُ خَبَثَ الحَدِيدِ وَالذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ»**[(٢)].

---

(١) أخرجه البخاري (٧٢٩٢) من حديث المغيرة بن شعبة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه الترمذي (٨١٠)، والنسائي (٢٦٣٠)، وابن ماجه (٢٨٨٧)، وأحمد (١/ ٣٨٧) من حديث ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

الحديث العاشر

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ اللهَ طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا، وَإِنَّ اللهَ أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا أَمَرَ بِهِ الْمُرْسَلِينَ؛ فَقَالَ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُواْ صَٰلِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ [المؤمنون:٥١]، وَقَالَ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ﴾ [البقرة:١٧٢]، ثُمَّ ذَكَرَ الرَّجُلَ يُطِيلُ السَّفَرَ أَشْعَثَ أَغْبَرَ يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ: يَا رَبِّ يَا رَبِّ، وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ، وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ، وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ، وَغُذِّيَ بِالْحَرَامِ، فَأَنَّى يُسْتَجَابُ لِذَلِكَ». رواه مسلم(١).

الشرح

هذا الحديث فيه بيان ما يُقبل عند الله جَلَّ وَعَلَا، وأنه سبحانه لا يقبل إلا ما كان حلالًا طيبًا، وأن الله تعالى أمر المرسلين أن يأكلوا من الطيبات، وكذلك أمر المؤمنين أن يأكلوا من الطيبات.

والمقصود بالطيبات: الحلال الذي أحلَّه الله، فإن الحرام ولو كان ألَذَّ المآكل فهو خبيث، والحلال وإن كان أخشن عيش فهو طيب.

ولـمَّا سأل سعدُ بن أبي وقاص جَلَّ وَعَلَا النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يدعو الله له أن يكون مجاب الدعوة، قال له النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«يا سَعْدُ،**

---

(١) أخرجه مسلم (١٠١٥).

أَطِبْ مَطْعَمَكَ تَكُنْ مُسْتَجَابَ الدَّعْوَةِ»[١]، أي: احرص على أن يكون مأكلك مما أحل الله جَلَّوَعَلَا.

ويوضح هذا بقية الحديث: **(ثُمَّ ذَكَرَ الرَّجُلَ يُطِيلُ السَّفَرَ أَشْعَثَ أَغْبَرَ)**، الشعثة المنافية للتنعم، والغبرة المنافية للتنعم، وهما تشعران العبد بأنه محتاج فقير بين يدي مالك عظيم، والسفر يجعل المرء في غربة، والغريب لا يحس بالعزة التي يحس بها المقيم بين أهله وعشيرته وقومه وبلاده، فإذا أطال السفر أحس بالإرهاق وشعر بالحاجة، وقد سمى النبي صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ السفر قطعة من العذاب[٢]، ومن تعرَّض للعذاب زاد شعوره بالحاجة إلى الاستقرار.

قوله: **(يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ)**، ذلك أن رفع اليدين يظهر الإنسان بمظهر التذلل والحاجة البيِّنة، كما أنه من مظنة الإجابة، فقد ورد في الحديث: «**إِنَّ اللهَ حَيِيٌّ كَرِيمٌ؛ يَسْتَحْيِي مِنْ عَبْدِهِ إِذَا رَفَعَ إِلَيْهِ يَدَيْهِ أَنْ يَرُدَّهُمَا صِفْرًا خَائِبَتَيْنِ**»[٣].

وقوله: **(يَا رَبِّ يَا رَبِّ)**، تكرار الطلب يقتضي تحقيق المطلب.

هذه الأمور التي أشير إليها في هذا الحديث لولا وجود العائق لكانت حرِيَّةً بأن يتحقق بها للسائل مطلبه، لكن تأتي علَّةٌ أخرى وهي ما يُضاد

---

(١) أخرجه الطبراني في الأوسط (٦/ ٣١١) من حديث ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا.

(٢) أخرجه البخاري (١٨٠٤)، ومسلم (١٩٢٧) من حديث أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

(٣) أخرجه أبو داود (١٤٨٨)، والترمذي (٣٥٥٦)، وابن ماجه (٣٨٦٥)، وبنحوه أحمد (٥/٤٣٨)، وابن حبان (٣/ ١٦٠)، والبزار في مسنده (٦/٤٧٨)، والبيهقي في الكبرى (٢/ ٢١١) من حديث سلمان الفارسي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

الطيبات، فالطيبات من الرزق: هي الحلال، والخبيث من الرزق: هو الحرام، قال: **(وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ، وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ، وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ، وَغُذِّيَ بِالْحَرَامِ)**، أي: أن مأكله وملبسه ومشربه من بداية أمره من مكاسب محرمة، يقول: **(فَأَنَّى يُسْتَجَابُ لِذَلِكَ!)**، فالإنسان إذا نظر إلى أنه دعا ودعا ولم يُستجب له ينبغي أن يفكر في طريقة كسبه للمال، الذي منه ينفق على نفسه وعلى أهله ومن تلزمه نفقتهم؛ لئلا يكون هذا الإنفاق مشتملاً على ما يعوق إجابة الدعاء.

وفي هذا الحديث ما يدل على مشروعية رفع اليدين للدعاء، إذا أراد الإنسان أن يدعو ويلح في طلبه يُشرع له رفع اليدين.

وقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن رفع اليدين يُسن، يعني مطلقًا، لكن بعض الناس إذا أراد أن يدعو كلمح البصر يرفع يديه ثم ينتهي، وليس هذا هو المقصود برفع اليدين، بل رفع اليدين يكون مع الطلب المتكرر.

وقد ألَّف السيوطي جَلَّوَعَلَا رسالة قصيرة في رفع اليدين في الدعاء[١].

---

(١) وهو كتاب: "فض الوعاء في أحاديث رفع اليدين بالدعاء"، طبعته دار المنار بالأردن.

الحديث الحادي عشر

عَنْ أَبِي مُحَمَّدٍ الحَسَنِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ سِبْطِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَرَيْحَانَتِهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: حَفِظْتُ مِنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «دَعْ مَا يَرِيبُكَ إِلَى مَا لَا يَرِيبُكَ». رواه الترمذي والنسائي، وقال الترمذي: حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ[١].

الشرح

هذا الحديث له صلة بحديث: **«فَمَنِ اتَّقَى الشُّبُهَاتِ»**[٢]، أي: أن الإنسان إذا استراب بأمر هل هو حلال أم حرام؟ استراب في سفر، استراب في مكاسب أو عمل، هل هو مفيد أو لا، اجتهد فإن تبين له الصواب الحق، فهذا توفيق من الله، وإن بقي الأمر ملتبسًا، فالسلامة أولى إن كان ذلك فيما يتعلق بالحلال والحرام، فقد جعل الله فيما أحل غُنية عمَّا حرم؛ ولئلا يكون في حمى يوشك أن تَزِلَّ به القَدَمُ، عليه أن ينكف.

قوله: **(دَعْ مَا يَرِيبُكَ)** أي: اترك ما ارتبت فيه وشككت في أمره **(إِلَى مَا لَا يَرِيبُكَ)**، فإن فيما لا ريبة فيه ولا إشكال غُنية واكتفاءً، فقد وَسَّع الله على العباد، ولم يجعل علينا جَلَّ وَعَلَا في الدين من حرج، بل يَسَّر أمورنا، وسهل أسباب حياتنا، والموفق من وفقه الله.

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٥١٨)، والنسائي (٥٧١١)، وأحمد (١/ ٢٠٠)، وابن خزيمة (٤/ ٥٩)، وابن حبان (٢/ ٤٩٨)، والحاكم (٢/ ١٣)، والبيهقي (٥/ ٣٣٥).

(٢) الحديث السادس من الأربعين النووية، تقدم تخريجه (ص٤٣).

الحديث الثاني عشر

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مِنْ حُسْنِ إِسْلَامِ الْمَرْءِ تَرْكُهُ مَا لَا يَعْنِيهِ». حديث حَسَن رواه الترمذي وغيره هكذا[١].

الشرح

هذا الحديث ينبغي أن يكون أساسًا لعمل المسلمين، فلا يتدخل فيما لا يعنيه؛ لأن من حسن إسلام الإنسان أن يهتم بما يعنيه ويترك ما لا يعنيه، ولاشك أن مما يعني المسلم صلاح المسلمين، ونصحهم وإرشادهم ودلالتهم على الخير، وتحذيرهم من الشر، والتعاون معهم على البر والتقوى، وأن يكف نفسه عن الدخول في أمر لا يلزمه القيام به، ولا يحصل به التفاضل عند الله إذا عمل به. لاشك أن المسلم يعنيه كل ما يهم المسلمين، وما لا ينفع المسلمين من جلب خير أو دفع شر فهذا لا يعنيه، والتدخل في أمور خاصة الناس وأفرادهم دون أن يُدْخِلوه فيها، ودون أن يقتضي منه النصح التدخل فيها؛ تدخل فيما لا يعنيه، ومِنْ تَرْكِ ما لا يعنيه: أن يجتنب المشتبهات من الأمور، وأن يهتم بما يقوي إيمانه وإيمان إخوانه المسلمين؛ لأن المسلم جزء من المجتمع الإسلامي، وقد وصف النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المسلمين بأنهم كالجسد الواحد[٢].

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٣١٧)، وابن ماجه (٣٩٧٦)، وابن حبان (١/ ٤٦٦).

(٢) كما في حديث النعمان بن بشير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا. أخرجه البخاري (٦٠١١)، ومسلم (٢٥٨٦).

الحديث الثالث عشر

عَـنْ أَبِي حَمْـزَةَ أَنَـسِ بْـنِ مَالِـكٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ خَـادِمِ رَسُـولِ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قَالَ: «لَا يُؤْمِنُ أَحَـدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لأَخِيهِ مَا يُحِبُّهُ لِنَفْسِه». رواه البخاري ومسلم[(١)].

الشـرح

هذا حديث أنس بن مالك خادم رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، وهو من أكثر الصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ حديثًا؛ لطول خدمته لرسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ.

في هذا الحديث يُبيِّن النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ أن المؤمن لا يكمل إيمانه **(حَتَّى يُحِبَّ لأَخِيهِ مَا يُحِبُّهُ لِنَفْسِه)**، وليس معنى هذا أنه إذا لم يحب لأخيه ما يحب لنفسه يكون كافرًا، وإنما قصده أنه لا يكون كامل الإيمان إلا إذا أحب لإخوانه ما يحب لنفسه، فإذا كان يحب لنفسه الغنى والاستغناء عن الآخريين فليحبه لإخوانه، وإذا أحب لنفسه الصحة في بدنه فليحب ذلك لإخوانه المسلمين، وإذا أحب لنفسه أن يعيش آمنًا غير خائف فليحب ذلك لإخوانه المسلمين، وإن أحب لنفسه أن يتنعم في الدنيا بما هو مباح لا يجر إلى اغترار، وأحب لنفسه أن يتنعم عند الله جَلَّوَعَلَا في جنات النعيم، فليحب ذلك لإخوانه المسلمين.

لا يتم الإيمان ولا يكمل إلا بذلك، لكن لا يزول الإيمان، فإن من

(١) أخرجه البخاري (١٣)، ومسلم (٤٥)، وهذا لفظ البخاري: **«لِأَخِيهِ»** من غير شك، وجاء عند مسلم: **«لِأَخِيهِ أَوْ قَالَ لِجَارِهِ»** على الشك.

الناس من يحب أن ينفرد بالخير، ومنهم من يحب أن يكون أعلم الناس ولا أحد يساويه في العلم، ومنهم من يحب أن يكون أرفع الناس منزلة ولا يحب أن يساويه أحد، فهو لا يكفر بذلك، ولا يسلب الإيمان بذلك؛ لأن من شهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، وأقام الصلاة، وآتى الزكاة، وصام رمضان، وحج إذا قدر، وفعل ذلك مخلصًا من قلبه فهو مؤمن، ولكن درجات الإيمان متفاوتة؛ كما في حديث: «**الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ أو بِضْعٌ وَسِتُّونَ شُعْبَةً، فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ: لَا إِلَهَ إِلَّا الله، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ، وَالحَيَاءُ شُعْبَةٌ من الْإِيمَانِ**»[1]، فلا يحصل للإنسان كمال الإيمان إلا إذا جاء بكل ما يقدر عليه من خصال الإيمان.

(١) أخرجه بنحوه البخاري (٩)، مسلم واللفظ له (٣٥) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

الحديث الرابع عشر

وَعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا يَحِلُّ دَمُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ إِلَّا بِإِحْدَى ثَلَاثٍ: الثَّيِّبُ الزَّانِي، وَالنَّفْسُ بِالنَّفْسِ، وَالتَّارِكُ لِدِينِهِ الْمُفَارِقُ لِلجَمَاعَةِ». رواه البخاري ومسلم[(١)].

الشرح

هذا الحديث الصحيح داخل معناه في حديث: **«أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ، وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ، فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّ الإِسْلَامِ، وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللهِ»**[(٢)]، فدم المسلم وماله وعرضه لا يحل إلا بمقتضى دليل شرعي يُستباح به الدم، فمن قتل نفسًا معصومة قَتْلُها يقتضي القصاص من القاتل؛ حل دمه، وكونها معصومة لا يقتضي القصاص؛ لأن هناك أنفسًا معصومة لكن لا يكون في قتلها تماثل بالقصاص.

قوله: **(الثَّيِّبُ الزَّانِي)**، الزاني المحصن إذا ثبت عليه الزنى، ولم يكن هناك شبهة أو تأويل؛ حلَّ دمه بالصفة التي شرعها الله جَلَّ وَعَلَا.

والثيب المحصن: مَنْ نكح نكاحًا صحيحًا مستوفيًا للشروط.

قوله: **(وَالنَّفْسُ بِالنَّفْسِ)**، القاتل يُقتل إذا توفرت شروط القصاص،

---

(١) أخرجه البخاري (٦٨٧٨)، ومسلم (١٦٧٦).

(٢) الحديث الثامن من الأربعين النووية، تقدم تخريجه (ص٥١).

إلا إن عفا أولياء الدم، ومعلوم أن النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ ما عُرِض عليه أمر القصاص إلا رحَّب بالعفو[1]، فالعفو أحب إلى الله جَلَّوَعَلَا وإلى رسوله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، ومن أراد أن يقتص إذا ثبت له موجب الاقتصاص فالأمر راجع له، إلا أن من عفا عن القصاص من قاتل يبتغي بذلك وجه الله؛ أعتقه الله جَلَّوَعَلَا من النار بهذا العفو، إذا كان مؤمنًا.

قوله: **(وَالتَّارِكُ لِدِينِهِ المُفَارِقُ لِلجَمَاعَةِ)**، التارك لدينه يشمل المرتد عن الإسلام، وأدخل فيه العلماء المحاربين الذين يخرجون عن جماعة المسلمين، وكذلك يلحق به المتعمد لترك الصلاة، المصر على ذلك؛ لأن الصلاة هي قوام الدين، وهي أعظم الأركان بعد الشهادتين.

فلا يُستحل دم امرئ مسلم إلا إذا زنى بعد إحصان، ومعلومٌ ما أحيط به حد الزنى من شروط وعقبات قَلَّ أن يوصل إليه إلا إذا اعترف الزاني بالزنا، فإن الشهادة على ذلك في منتهى الصعوبة، هذه العقوبة الشديدة المانعة أحيطت بأمور كثيرة يصعب أن تثبت إلا بطريق الاعتراف.

(١) كما في حديث أنس بن مالك رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ قال: «مَا رَأَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ رُفِعَ إِلَيْهِ شَيْءٌ فِيهِ قِصَاصٌ إِلَّا أَمَرَ فيه بِالْعَفْوِ»، أخرجه أبو داود (٤٤٩٧)، وابن ماجه (٢٦٩٢).

الحديث الخامس عشر

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَاليَومِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ جَارَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ». رواه البخاري ومسلم(١).

الشرح

هذا الحديث العظيم ينظم للمسلم طريق السلامة في الخطاب والسكوت، وطريق الإحسان إلى الضيف والجار.

قوله: **(مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَاليَومِ الآخر)**، يؤمن بأن الله تعالى لا تخفى عليه خافية، قال تعالى: ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق:١٨]، الله جَلَّ وَعَلَا يسمع محاورات الناس، بل يسمع السر وأخفى، إذا آمن بذلك، وآمن باليوم الآخر الذي فيه الحساب والجزاء والثواب؛ حمله إيمانه على أن لا يقول إلا ما يَسُرُّه أن يراه في صحيفة أعماله؛ لأن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الناصح الأمين الذي وصفه ربه جَلَّ وَعَلَا بأنه بالمؤمنين رؤوف رحيم، بيَّن ما تتحقق به السعادة في الدنيا والآخرة.

قوله: **(فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَو ليَصْمُتْ)**، السكوت فيه السلامة، ففي حديث معاذ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«رَأْسُ الْأَمْرِ الْإِسْلَامُ، وَعَمُودُهُ الصَّلَاةُ، وَذِرْوَةُ سَنَامِهِ الْجِهَادُ»**، ثُمَّ قال: **«أَلَا أُخْبِرُكَ بِمِلَاكِ ذَلِكَ كُلِّهِ؟»**،

---

(١) أخرجه البخاري (٦٠١٨)، ومسلم (٤٧) واللفظ له.

قال معاذ: «بَلَى يا نَبِيَّ اللهِ»، فَأَخَذَ بِلِسَانِهِ، ثم قال: **«كُفَّ عَلَيْكَ هَذَا»**، فقال معاذ: «يا نَبِيَّ اللهِ وَإِنَّا لَمُؤَاخَذُونَ بِمَا نَتَكَلَّمُ بِهِ؟»، فقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ يا مُعَاذُ! وَهَلْ يَكُبُّ النَّاسَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ -أَوْ عَلَى مَنَاخِرِهِمْ- إِلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ؟!»**(١).

فالإنسان عندما يهم بالكلام يتأمل: هل هذا الكلام الذي سيقوله رضا لله جَلَّ وَعَلَا؟ فإن كان الأمر كذلك فليبادر، إلا إذا خشي أن يترتب عليه سوء ويحدث عنه شر وبلاء، فإن الإنسان في هذه الأمور يرجع إلى درء المفاسد وجلب المصالح، فما تحقق أن خيره أنفع وأكبر من شرِّه، وأن نفعه أجلُّ من ضرره أخذ به، وإذا شك في الأمر فإن في التوقف السلامة والنجاة، وقد جاء في الحديث الصحيح: **«وَإِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ** -سواء الرجل أو المرأة- **مِنْ سَخَطِ اللهِ، لَا يُلْقِي لَهَا بَالًا؛ يَهْوِي بِهَا فِي جَهَنَّمَ»**(٢)، فالإنسان محتاج دائمًا إلى النظر في عواقب ما سيتكلم به، إلى غير ذلك.

قوله: **(وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ)**، الضيافة لها شأن، وهي من الأمور المألوفة فيمن كانوا قبلنا من الأمم، وقد قصَّ الله جَلَّ وَعَلَا نبأ ضيف إبراهيم المكرمين، وقص المبادرة من إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ في تهيئة قِراهم، قال تعالى: ﴿فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ فَجَآءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ﴾

---

(١) الحديث التاسع والعشرون من الأربعين النووية، وسيأتي تخريجه (ص١٠٥).

(٢) أخرجه البخاري (٦٤٧٨) واللفظ له، ومسلم (٢٩٨٨) مختصرًا، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

[الذاريات:٢٦]؛ ذلك ما يدعو إلى المبادرة في إكرام الضيف.

والنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: **«مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ باللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ جَائِزَتَهُ»**(١)، يعني: أكرموه، وكانت عادة العرب التفاخر بإكرام الضيف والتباهي بذلك، وقد جاء الله بهذا الدين مؤيدًا إكرام الضيف بغير تباهٍ، وإنما ابتغاء الأجر وامتثالًا لأمر المشرع صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، واقتداءً بأبي الأنبياء خليل الرحمن عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والتسليم.

وقد أمر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الضيف أن يرحل بعد ثلاث؛ لئلا يحرج مضيفه، وأجاز النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ للضيف إذا ضاف قومًا فلم يضيفوه وقدر أن يأخذ قدر قِراه إذا كان محتاجًا لذلك أن يفعل(٢).

وقد قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: **«إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ مَكَارِمَ الأَخْلاقِ»**(٣)، وأعظم مكارم الأخلاق: إخلاص العبادة لله، ومن مكارم الأخلاق أن يقول خيرًا؛ مِنْ أمر بالمعروف، ونهي عن منكر، وتعليم علم، وإرشاد جاهل، وإكرام الضيف، وأمثال ذلك مما يفعل عباد الله ولا يضر بفاعله.

---

(١) أخرجه البخاري (٦٠١٩)، ومسلم (٤٨)، من حديث أبي شريح العدوي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«أَيُّمَا ضَيْفٍ نَزَلَ بِقَوْمٍ فَأَصْبَحَ الضَّيْفُ مَحْرُومًا، فَلَهُ أَنْ يَأْخُذَ بِقَدْرِ قِرَاهُ، وَلَا حَرَجَ عليه»**. أخرجه أحمد (٢/ ٣٨٠) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«أَيُّمَا مُسْلِمٍ أَضَافَ قَوْمًا فَأَصْبَحَ الضَّيْفُ مَحْرُومًا، فَإِنَّ حَقًّا عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ نَصْرُهُ حَتَّى يَأْخُذَ بِقِرَى لَيْلَتِهِ مِنْ زَرْعِهِ وَمَالِهِ»**. أخرجه أحمد (٤/ ١٢١)، وأبو داود (٣٧٥١)، والبيهقي في الكبرى (٩/ ١٩٧) من حديث المقدام بن معد يكرب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) أخرجه البيهقي في الكبرى (١٠/ ١٩١) بهذا اللفظ من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وأخرجه أحمد (٢/ ٣٨١)، والحاكم (٢/ ٦١٣) بلفظ: **«صالح الأخلاق»**.

قوله: (**وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ باللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ جَارَهُ**)، الجار له شأن وأي شأن في الإسلام! يقول المصطفى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَا زَالَ يُوصِينِي جِبْرِيلُ بِالجَارِ حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ سَيُوَرِّثُهُ**»[(١)]، ظن أنه سيكون ضمن الورثة! والجار له أثر حتى في مال الإنسان، فإذا كان للإنسان جار يشترك معه في منافعه لا يحل له أن يبيع نصيبه في الشركة حتى يُعْلِم جاره، والله جَلَّ وَعَلَا لَمَّا ذكر الوصايا العشر في قوله: ﴿وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔاۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْۗ﴾ [النساء:٣٦]، ذكر الجار في مواطن الإحسان.

ويقول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الحديث الصحيح: «**واللهِ لَا يُؤْمِنُ، واللهِ لَا يُؤْمِنُ، واللهِ لَا يُؤْمِنُ**»، قِيلَ: وَمَنْ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «**الَّذِي لَا يَأْمَنُ جَارُهُ بَوَائِقَهُ**»[(٢)].

فالإنسان مأمور بالإحسان إلى جاره، ويحرم عليه بتغليظ أن يسيء إليه، وأهم الجيران: الجار الملاصق، وقد جاء في حديث أن الجوار يصل إلى أربعين[(٣)]، وأمر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالإهداء إلى الجيران، فقال

---

(١) أخرجه البخاري (٦٠١٤)، (٦٠١٥)، ومسلم (٢٦٢٤)، (٢٦٢٥) من حديث عائشة وابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

(٢) أخرجه البخاري (٦٠١٦) من حديث أبي شريح رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

والمراد بقوله: «**بوائقه**» أي: غوائله وشره، أو ظلمه وغشمه. يُنظر: النهاية في غريب الأثر (١/ ١٦٢)، ولسان العرب (١/ ٣٠) (بوق).

(٣) أخرج البيهقي في الكبرى (٦/ ٢٧٦) عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أنها سألت النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
=

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«يا نِساءَ المُسْلِماتِ، لَا تَحْقِرَنَّ جَارَةٌ لِجَارَتِهَا وَلَوْ فِرْسِنَ شَاةٍ»**(١)؛ لأن التهادي من شأنه أن يؤلف القلوب فتعمر القلوب بالمحبة، وفي ذلك يقول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«لَا تَدْخُلُونَ الجَنَّةَ حتى تُؤْمِنُوا، وَلَا تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا، أَوَلَا أَدُلُّكُمْ على شَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ؟ أَفْشُوا السَّلامَ بَيْنَكُمْ»**(٢).

=

فقالت: ما حد الجوار؟ قال: **«أَرْبَعُونَ دَارًا»**. وفي رواية: **«أَوْصَانِي جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِالجَارِ إِلَى أَرْبَعِينَ دَارًا»**. قال البيهقي: «في هذين الإسنادين ضعف».

وروى نحوه أبو يعلى في مسنده (١٠/ ٣٨٥) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ورواه أبو داود في المراسيل (ص٢٥٧) بإسناده عن ابن شهاب الزهري عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مرسلًا: **«السَّاكِنُ مِنْ أَرْبَعِينَ دَارًا جَارٌ»**، قيل لابن شهاب: وكيف أربعين دارًا؟ قال: أربعين عن يمينه، وعن يساره، وخلفه، وبين يديه. يُنظر: التلخيص الحبير (٣/ ٩٣)، ونصب الراية (٤/ ٤١٤)، وكشف الخفاء (١/ ٣٩٢).

(١) أخرجه البخاري (٢٥٦٦)، ومسلم (١٠٣٠) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

والفرسن من البعير بمنزلة الحافر من الدابة، وهو في الشاة الظفر. يُنظر: لسان العرب (١٣/ ٣٢٢) (فرسن).

(٢) أخرجه مسلم (٥٤) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

الحديث السادس عشر

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَجُلًا قَالَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَوْصِنِي، قَالَ: «لَا تَغْضَبْ»، فَرَدَّدَ مِرَارًا، قَالَ: «لَا تَغْضَبْ». رواه البخاري[١].

الشرح

الغضب من الشيطان، والنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يوصي كل إنسان بما يراه أنه الأليق به والأنفع له، يستوصيه آخر أن يوصيه فيقول: **«لَا يَزَالُ لِسَانُكَ رَطْبًا بِذِكْرِ اللهِ»**[٢]، وقال لآخر: **«لَا تَحْقِرَنَّ مِنَ الْمَعْرُوفِ شَيْئًا، وَلَوْ أَنْ تَلْقَى أَخَاكَ وَوَجْهُكَ مُنْبَسِطٌ، وَلَوْ أَنْ تُفْرِغَ من دَلْوِكَ فِي إِنَاءِ الْمُسْتَسْقِي»**[٣]، إلى غير ذلك.

والنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذكر أن مما يطفئ الغضب: الاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم[٤]. ويبدو أن هذا الرجل -والله أعلم- كان سريع الغضب، فلما استوصى النبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال له: **(لَا تَغْضَبْ)**.

وبيَّن عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ في حديث آخر أن الناس ثلاثة أصناف: **«وَإِنَّ مِنْهُمُ الْبَطِيءَ الْغَضَبِ سَرِيعَ الْفَيْءِ»**، أي: سريع الرجوع عن الغضب، **«وَمِنْهُمْ سَرِيعُ الْغَضَبِ سَرِيعُ الْفَيْءِ، فَتِلْكَ بِتِلْكَ، أَلَا وَإِنَّ مِنْهُمْ سَرِيعَ**

---

(١) أخرجه البخاري (٦١١٦).

(٢) الحديث الخمسون، سيأتي تخريجه (ص١٦٢).

(٣) أخرجه أحمد (٥/ ٦٣)، والنسائي في الكبرى (٥/ ٤٨٦)، وصححه ابن حبان (٢/ ٢٧٩) من حديث أبي تميمة الهُجَيْمِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٤) كما سيأتي في حديث سليمان بن صرد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ص٧٠).

الْغَضَبِ بَطِيءَ الْفَيْءِ، أَلَا وَخَيْرُهُمْ بَطِيءُ الْغَضَبِ سَرِيعُ الْفَيْءِ، أَلَا وَشَرُّهُمْ سَرِيعُ الْغَضَبِ بَطِيءُ الْفَيْءِ»(١).

والغضب من شأنه أن يولد حزازات، وأن يبعث العداوات والمنازعات والخصومات، ويجر إلى التنافر وسفك الدماء.

وقد أوصى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بما يُعالَج به الغضب؛ كالاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم، ففي الحديث الصحيح: أن رَجُلَيْنِ استَبَّا عِنْدَ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَجَعَلَ أَحَدُهُما يَغْضَبُ وَيَحْمَرُّ وَجْهُهُ! فنظر إليه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: **«إِنِّي لَأَعْلَمُ كَلِمَةً لَوْ قَالَهَا ذَهَبَ عَنْهُ مَا يَجِدُ، لَوْ قَالَ: أَعُوذُ باللهِ مِنَ الشَّيْطَانِ؛ ذَهَبَ عَنْهُ مَا يَجِدُ»**، فقيل للرجل: ألا تَسْمَعُ ما يقول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قال: «إِنِّي لَسْتُ بِمَجْنُونٍ»(٢).

وأرشد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الغضبان بقوله: **«إذا غَضِبَ أَحَدُكُمْ وَهُوَ قَائِمٌ فَلْيَجْلِسْ، فَإِنْ ذَهَبَ عَنْهُ الْغَضَبُ وَإِلَّا فَلْيَضْطَجِعْ»**(٣).

وأمر الإنسان إذا غضب أن يتوضأ وضوءه للصلاة، وقال: **«إِنَّ الْغَضَبَ مِنَ الشَّيْطَانِ، وَإِنَّ الشَّيْطَانَ خُلِقَ مِنَ النَّارِ، وَإِنَّمَا تُطْفَأُ النَّارُ بِالْمَاءِ، فَإِذَا غَضِبَ أَحَدُكُمْ فَلْيَتَوَضَّأْ»**(٤).

---

(١) أخرجه أحمد (٣/١٩)، والترمذي (٢١٩١)، وعبد الرزاق في مصنفه (١١/٣٤٦) من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه البخاري (٣٢٨٢)، ومسلم (٢٦١٠) من حديث سليمان بن صرد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) أخرجه أحمد (٥/١٥٢)، وأبو داود (٤٧٨٢)، وابن حبان (١٢/٥٠١)، والبيهقي في شعب الإيمان (٦/٣٠٩) من حديث أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٤) أخرجه أحمد (٤/٢٢٦)، وأبو داود (٤٧٨٤)، والطبراني في الكبير (٤٤٣) من حديث =

فالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ما ترك خيرًا ينفعنا في ديننا ودنيانا إلا ودلَّنا عليه، صلوات الله وسلامه عليه.

فالغضب يفرق بين الزوجين، ويفرق بين الأحبة، ويفرق بين الإخوة، وربما فرق بين الأب وابنه، والابن وأبيه، والأم وابنها، ومن وفَّقه الله جَلَّ وَعَلَا لمعالجة الغضب بالاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم، وصرف النفس عن الاستسلام له، فقد وفِّق لخير عظيم.

=

عطية بن سعد السعدي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

الحديث السابع عشر

عَنْ أَبِي يَعْلَى شَدَّادِ بْنِ أَوْسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّ اللهَ كَتَبَ الإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، فَإِذَا قَتَلْتُمْ فَأَحْسِنُوا الْقِتْلَةَ، وَإِذَا ذَبَحْتُمْ فأَحْسِنُوا الذِّبْحَةَ، وَلْيُحِدَّ أَحَدُكُمْ شَفْرَتَهُ، وَلْيُرِحْ ذَبِيحَتَهُ»، رواه مسلم(١).

الشرح

هذا الحديث الذي يوصي به النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ويأمر؛ يُبيِّن أن الله كتب الإحسان على كل شيء، حتى مع الأعداء، فإذا أراد المسلم قتل إنسان استحق القتل لا يُعذبه بالذبح، إذا كان العدو في قتال حرب وأمكن أن تكون القتلة لا تشتمل على تعذيب فهو أولى؛ لقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **(فَإِذَا قَتَلْتُمْ فَأَحْسِنُوا الْقِتْلَةَ)**، سواء كان ذلك في قِصاصٍ، أو حدٍّ، أو غير ذلك.

وكل ذلك في حدود ما شرع الله، فلا يصح أن يعترض إنسان على حدِّ الزنا ويقول: إن الرجم خارج عن ذلك!

بل الرجم من الإحسان إلى المجتمع المسلم؛ لما فيه من الزجر عن ارتكاب الفواحش الخطيرة المغلظة.

قوله: **(وَإِذَا ذَبَحْتُمْ)**، أي: ذبائحكم من الدواب وبهيمة الأنعام، **(فأَحْسِنُوا الذِّبْحَةَ)**. ثم بيَّن كيف نفعل، فقال: **(وَلْيُحِدَّ أَحَدُكُمْ شَفْرَتَهُ،**

---

(١) برقم (١٩٥٥).

وَلْيُرِحْ ذَبِيحَتَهُ)، أي: لا يبادر إلى ذبحها بعنف، ولا يجرها جرًّا عنيفًا، ولا يذبحها أمام صواحبها اللاتي ستُذبح بعدها.

فالإسلام اشتمل على أكمل حالات الإحسان حتى مع بهيمة الأنعام، وحتى مع الأعداء؛ لهذا يقول الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ۚ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ﴾ [المائدة:٨].

الحديث الثامن عشر

عن أبي ذَرٍّ جُنْدُبِ بنِ جُنَادةَ، وأبي عبدِ الرحمنِ مُعاذِ بنِ جَبَلٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «اتَّقِ اللهَ حَيْثُمَا كُنْتَ، وَأَتْبِعِ السَّيِّئَةَ الحَسَنَةَ تَمْحُهَا، وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ». رواه الترمذي، وقال: (حديث حسن)، وفي بعض النسخ: (حسن صحيح)[1].

الشــرح

هذا الحديث اشتمل على خير عظيم، ألا وهو: الوصية بالتقوى.

والتقوى إذا وفَّق اللهُ الإنسانَ لها منحه الله جَلَّ وَعَلَا فرقانًا يفرق به بين الحق والباطل؛ بين ما ينفعه في حياته وآخرته وبين ما يضره.

قوله: (اتَّقِ الله حَيْثُمَا كُنْتَ)، أي: في كل موقف؛ في حال خلوتك:

إِذَا مَا خَلَوْتَ الدَّهْرَ يَوْمًا فَلا تَقُل ... خَلَوْتُ وَلَكِنْ قُلْ عَلَيَّ رَقِيبُ[2]

ففي مجالس الكبراء اجعل تقوى الله جَلَّ وَعَلَا بين عينك، إن استطعت أن تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر فافعل، وإن لم تستطع فلا تُحْدث ما تراه منكرًا وتظهر عدم الاشمئزاز بذلك، لتكن تقوى الله دافعة لك على فعل الخير، رادة لك عن فعل الشر.

وتقوى الله جَلَّ وَعَلَا: أن يجعل الإنسان بينه وبين سخط ربه عَزَّ وَجَلَّ

---

(١) أخرجه الترمذي (١٩٨٧).

(٢) يُنسب البيت للإمام أحمد بن حنبل رَحِمَهُ اللَّهُ. ينظر: تاريخ بغداد (٥/ ٢٠٥)، المقصد الارشد (١/ ٢٠٦).

وقاية؛ من خشيته، وخوفه، والحياء منه أن يرتكب ما لا يرضاه جَلَّوَعَلَا لعبده.

قوله: **(اتَّقِ اللهَ حَيْثُمَا كُنْتَ)** في كل موقف، فإن كنت في حال خلوة لا يراك فيه أحد، فلا تقل: لا يراني أحد. فإن الله جَلَّوَعَلَا يراك ويعلم موقفك، ويعلم ما يتلجلج في صدرك، ويعلم ما يمكن أن يحدث في خلقه في يوم من الأيام.

قوله: **(وَأَتْبِعِ السَّيِّئَةَ الحَسَنَةَ تَمْحُهَا)**، فكل البشر يعتريهم الخطأ؛ قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**كُلُّ ابن آدَمَ خَطَّاءٌ، وَخَيْرُ الخَطَّائِينَ التَّوَّابُونَ**»[1]، من الذي لا يخطئ؟! إنما الموفق من إذا أساء ندم فتاب إلى الله واستغفره وأحسن؛ قال الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ ٱلسَّيِّئَةَ﴾ [المؤمنون:٩٦].

ثم قال: **(وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ)**، السيئات كثيرة، ولكن مِنْ لُطْفِ الله جَلَّوَعَلَا وجميل إحسانه بعباده أن يَسَّر على عباده ما تُمحى به هذه السيئات: التوبة، والاستغفار، إذا أتى بها من وقع في السيئات، يقول الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ﴾ [هود:١١٤].

قوله: **(وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ)**، أي: جاملهم، ولكن لا تداهن في دينك، تلقهم بالبشر، واجعل ابتسامتك مبذولة لهم دون ابتذال لنفسك في كل موقف، دون ابتسامة في موقف لا يصلح فيه الابتسام؛ لأن لكل

---

(١) أخرجه أحمد (٣/١٩٨)، والترمذي (٢٤٩٩)، وابن ماجه (٤٢٥١)، وأبو يعلى (٥/٣٠١)، والحاكم (٤/٢٤٤) من حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

ساعة وضعها، **(وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ)**، وأجمل ما يخالق المرء به الآخرين: الصدق في الحديث، والنصح، وإظهار محبة الخير لهم، والتغافل عن عثرات ألسنتهم، إلا ما كان من منكر ينبغي إنكاره.

ولما استأذن على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أحد الناس، وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«ائْذَنُوا لَهُ، بِئْسَ أَخُو الْعَشِيرَةِ»**، فلمَّا دخل ألانَ له الْكَلامَ وتطلق في وجهه وانبسط إليه، فلما خرج الرجل قالت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: يا رَسُولَ اللهِ، حين رَأَيْتَ الرَّجُلَ قُلْتَ له كَذَا وَكَذَا، ثُمَّ تَطَلَّقْتَ في وَجْهِهِ وَانْبَسَطْتَ إليه، فقال رسول اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«يا عَائِشَةُ مَتَى عَهِدْتِنِي فَحَّاشًا؟ إِنَّ شَرَّ النَّاسِ عِنْدَ اللهِ مَنْزِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنْ تَرَكَهُ النَّاسُ اتِّقَاءَ شَرِّهِ»**(١)، يعني: سوء لسانه ومخاطبته.

فالإنسان ينبغي له أن يحرص أن يأتي للناس الشيء الذي يحب أن يؤتاه من الناس، يتجنب التكبر، والإعراض عنهم، أو الاستهزاء بهم، فإن الاستهزاء جهل بحقيقة المتكلم، وجهل بما يحبه الله جَلَّ وَعَلَا، فإن موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ لمَّا قال له قومه: ﴿أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا﴾ قال: ﴿أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ [البقرة:٦٧].

---

(١) أخرجه البخاري (٦٠٣٢)، ومسلم (٢٥٩١) من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

الحديث التاسع عشر

عَنْ أَبِي العَبَّاسِ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: كُنْتُ خَلْفَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمًا، فَقَالَ: «يَا غُلَامُ؛ إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ: احْفَظِ اللهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظِ اللهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِن باللهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ الأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعَتْ عَلى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ لَكَ، وَإِنِ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الأَقْلَامُ، وَجُفَّتِ الصُّحُفُ»، رواه الترمذي[1]، وقال: (حديث صحيح).

وفي روايةِ غير الترمذي: «احْفَظِ اللهَ تَجِدْهُ أَمَامَكَ، تَعَرَّفْ إِلَى اللهِ فِي الرَّخَاءِ يَعْرِفْكَ فِي الشِّدَّةِ، وَاعْلَمْ أَنَّ مَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ، وَمَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ، وَاعْلَمْ أَنَّ النَّصْرَ مَعَ الصَّبْرِ، وَأَنَّ الفَرَجَ مَعَ الْكَرْبِ، وَأَنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا»[2].

الشرح

هذا الحديث العظيم بالغ الأهمية، ينبغي للإنسان أن يتصوره ويستحضره ما أمكنه ذلك، يتعرف إلى الله بطاعته، يحفظ الله جَلَّ وَعَلَا

---

(١) برقم (٢٥١٦).

(٢) أخرجه أحمد (١/٣٠٧)، وهناد في الزهد (١/٣٠٤)، وعبد بن حميد في مسنده (ص٢١٤)، والطبراني في الكبير (١١٢٤٣)، والحاكم (٣/٦٢٣)، واللالكائي في اعتقاد أهل السنة (٤/٦١٤)، والبيهقي في شعب الإيمان (٢/٢٧).

بأداء واجبات الدين، واجتناب المحرمات، والتورع عمَّا يشتبه عليه.

قوله: (**احْفَظِ اللهَ تَجِدْهُ أَمَامَكَ**)، أي: تجده معك بنصره وتوفيقه، وتأييدك، والدفاع عنك.

قوله: (**تَعَرَّفْ إِلَى اللهِ فِي الرَّخَاء**)، أي: في حال الأمن، في حال الغناء، في حال الشبيبة، في حال الإقامة، تعرف إليه بالعبادة والإحسان إلى عباده جَلَّ وَعَلَا؛ رغبة في إحسانه إليك، بكفِّ الأذى عن الآخرين؛ ليصرف عنك أذاهم وأذى غيرهم.

قوله: (**وَاعْلَمْ أَنَّ مَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ**)، فيه بيان أن الأمور قد كُتِبت، وأن ما أخطأ الإنسان لم يكن ليصيبه، فما قضى الله عَزَّوَجَلَّ أن يخطئه فلا يمكن أن يصيبه، وما قضى الله جَلَّ وَعَلَا أن يصيب الإنسان فلا يرده شيء، انتهى الأمر في الأزل.

وفي بعض ألفاظ الحديث يقول: (**إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللهَ، وَإِذَا استَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللهِ**)، ولتعلم أن الضَّار والنَّافع ليس الخلق، وإنما الله هو الذي يأتي بالخيرات، ولا يدفع السيئات إلا هو، (**وَاعْلَمْ أَنَّ الأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ لَكَ**)، فلو اجتمع الخلق كلهم على أن يأتوا بشيء ينفع الإنسان ما استطاعوا.

فهذ الحديث مهم للإنسان؛ لأن يعوِّد نفسه مخافة ربه، فيتذكر أنه محتاج دائمًا إلى الله، وأن هناك أزمات إن لم يكن هناك سابق عمل وجميل إحسان فقد تضيق يده وتضيق حيلته، وتنسد أمامه المسالك، فالأعمال الصالحة عندما تشتد الكروب وتتوالى يظهر أثرها؛ كما في حديث الثلاثة نفر -الذي في الصحيح- قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**انْطَلَقَ ثَلاثَةُ رَهْطٍ مِمَّنْ كَانَ**

قَبْلَكُمْ حَتَّى أَوَوْا الـمَبِيتَ إِلَى غَارٍ فَدَخَلُوهُ، فَانْحَدَرَتْ صَخْرَةٌ مِنَ الجَبَلِ، فَسَدَّتْ عَلَيْهِمُ الْغَارَ، فَقَالُوا: إِنَّهُ لَا يُنْجِيكُمْ مِنْ هَذِهِ الصَّخْرَةِ إِلَّا أَنْ تَدْعُوا اللهَ بِصَالِحِ أَعْمَالِكُمْ...»[1]؛ لأنهم أيقنوا أنه لا مخرج مما هم فيه من فعل بشر، وتذكروا فما ذكروا إلا أن يلجؤوا إلى الله، ويتذكروا صالح الأعمال، والحديث معروف مشهور.

---

(١) أخرجه البخاري (٢٢٧٢)، ومسلم (٢٧٤٣) من حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

الحديث العشرون

وَعَنْ أَبِي مَسْعُودٍ عُقْبَةَ بْنِ عَمْرو الأَنْصَارِيِّ البَدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ مِمَّا أَدْرَكَ النَّاسُ مِنْ كَلَامِ النُّبُوَّةِ الأُولَى: إِذَا لَمْ تَسْتَحْيِ فَاصْنَعْ مَا شِئْتَ». رواه البخاري[١].

الشرح

هذا الحديث فيه بيان أثر فقد الحياء، والنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: **«الحَيَاءُ لَا يَأْتِي إِلَّا بِخَيْرٍ»**[٢]، وفي "الصحيحين" أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سمع رَجُلًا يَعِظُ أَخَاهُ فِي الْحَيَاءِ؛ كأنه يقول له: كَثُرَ حياؤك، فقال: **«دَعْهُ، فَإِنَّ الحَيَاءَ مِنَ الإِيمَانِ»**[٣].

وأشرف الحياء: الحياء من الله جَلَّ وَعَلَا، فالنِّعم كلها من الله، وهو سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لا تخفى عليه خافية، فإذا رُزق العبد الحياء استحيى من الله جَلَّ وَعَلَا أن يترك ما أوجبه عليه، أو يقصر في عمل يندب العمل به، أو أن يراه مرتكبًا ما حرَّم عليه، أو أن تطيش نفسه لأمر مكروه وإن لم يصل إلى التحريم؛ خشية من الانزلاق.

والحياء من الإيمان؛ كما في الحديث الصحيح: **«الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ -أو بِضْعٌ وَسِتُّونَ- شُعْبَةً، فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ**

---

(١) أخرجه البخاري (٦١٢٠).

(٢) أخرجه البخاري (٦١١٧)، ومسلم (٣٧) من حديث عمران بن الحصين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) أخرجه البخاري (٢٤)، ومسلم (٣٦) من حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ، وَالحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ»[١]، ومن زال حياؤه بالكلية؛ يصنع كل ما لاح له وجال في خاطره من شر، وضلال، ومنكر، وأذى!

وقول النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **(إِنَّ مِمَّا أَدْرَكَ النَّاسُ مِنْ كَلامِ النُّبُوَّةِ الأُولَى)** دليل على أن الحياء محل اعتبار عند أهل الإيمان، وفي جميع الرسالات السابقة، وأن أمره هامٌّ، وأن فقده يُجَرِّئ على ارتكاب أنواع المنكرات.

فنسأل الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أن يرزقنا جميعًا الحياء منه، والحياء من عباده.

---

(١) تقدم تخريجه (ص٦١).

الحديث الحادي والعشرون

عَنْ أَبِي عَمْرٍو -وَقِيلَ: أَبِي عَمْرَةَ- سُفْيَانَ بْنِ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، قُلْ لِي فِي الإِسْلَامِ قَوْلًا، لَا أَسْأَلُ عَنْهُ أَحَدًا غَيْرَكَ. قَالَ: «قُلْ: آمَنْتُ بِاللهِ ثُمَّ اسْتَقِمْ». رواه مسلم(١).

الشـرح

هذا الحديث جمع فيه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كلَّ ما يحتاج إليه العبد، فإذا قال: آمنت بالله. والإيمان سبق بيان أركانه في حديث جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ في سؤاله النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فيؤمن العبد بكلِّ ما يقتضيه هذا الإيمان، ثم يستقيم على ما يقتضيه؛ من لزوم الطاعات، واجتناب المعاصي، والتورع عمَّا اشتبه أمره، مع الاستمرار على ذلك والاستقامة عليه، دون انعطاف أو انحراف. فإن سفيان بن عبد الله الثقفي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أراد من النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يُبيِّن له ما يجمع له فرائض الإسلام، ففي بعض ألفاظ الحديث قال: «كَثُرَتْ عَلَيَّ فَرَائِضُ الإِسْلامِ، فَقُلْ لِي يَا رَسُولَ اللهِ قَوْلًا فِي الإِسْلام لَا أَسْأَلُ عَنْهُ أَحَدًا بَعْدكَ»(٢)، فهو مسلم يعرف أركان الدين، فقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **(قُلْ: آمَنْتُ بِاللهِ ثُمَّ اسْتَقِمْ)**، أَعْلِن هذا بلسانك، ثم استقم على هذا وبمقتضاه، فإنك إن استقمت عليه وصلت بإذن الله جَلَّ وَعَلَا إلى ما يريده كل مؤمن صادق الإيمان.

---

(١) رقم (٣٨)، وفيه: «**فَاسْتَقِمْ**».

(٢) أخرجه الترمذي (٣٣٧٥)، وابن ماجه (٣٧٩٣)، وأحمد (٤/ ١٩٠).

الحديث الثاني والعشرون

عَنْ أَبِي عَبْدِ اللهِ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: أَرَأَيْتَ إِذَا صَلَّيْتُ الْمَكْتُوبَاتِ، وَصُمْتُ رَمَضَانَ، وَأَحْلَلْتُ الحَلَالَ، وَحَرَّمْتُ الحَرَامَ، وَلَمْ أَزِدْ عَلَى ذَلِكَ شَيْئًا: أَأَدْخُلُ الجَنَّةَ؟ قَالَ: «نَعَمْ». رواه مسلم[1].

وَمَعْنَى «حَرَّمْتُ الحَرَامَ»: اجْتَنَبْتُهُ، وَمَعْنَى «أَحْلَلْتُ الحَلَالَ»: فَعَلْتُهُ مُعْتَقِدًا حِلَّهُ.

الشرح

هذا الحديث وما في معناه يُبين أن مَنْ أدَّى الفرائض الواجبة وتجنب المحرمات دخل الجنة، ولكن تختلف منازل الناس في الجنة على قدر أعمالهم وقوة إيمانهم، والله جَلَّ وَعَلَا لا يحاسب عباده إلا عمَّا افترضه عليهم، وما حرَّمه عليهم، وما وراء ذلك فإن أحسنوا وزادوا فإنما فعلوا لأنفسهم الخير، وإن اكتفوا بما فُرض عليهم مخلصين لله العمل أدخلهم الجنة.

والنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا ذكر أركان الإسلام وأُعْجِب الصحابة، قال لهم: **«إِنَّ فِي الجَنَّةِ مِائَةَ دَرَجَةٍ أَعَدَّهَا اللهُ لِلْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِ اللهِ، مَا بَيْنَ الدَّرَجَتَيْنِ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ»**[2]، ففضائل الأعمال بعد أداء

(١) برقم (١٥).

(٢) أخرجه البخاري (٢٧٩٠) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

الواجبات؛ إذا أُتْقِنَتِ الواجبات والفضائل حَصل الفضل والتمييز بين من اكتفى بالواجب وغيره.

ومعنى قوله: **(وَأَحْلَلْتُ الحَلالَ)**، أي: فعلت ما احتيج إلى فعله من الحلال، واعتقدت حل ما أحله الله، فإن الإنسان لا يستطيع أن يفعل كل ما هو حلال، أو يتناول كل ما هو حلال، لكن عليه أن يقتصر على ما أحل الله فيما يفعله ، وأن يعتقد حلَّ ما أحلَّه الله، وهو باعتقاده أن الله أحلَّ أشياء وحرَّم أشياء، وأن الأمر لله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، يُثاب على ذلك.

قوله: **(وَحَرَّمْتُ الحَرَامَ)**، الإنسان يحتاج إلى أن يكفَّ عن الحرام كله، ففرق بين الحلال والحرام، فيأتي من الحلال ما احتاج إليه معتقدًا حله، وأما الحرام فيتجنبه بدون استثناء، والاستثناءات في الضرورات، والله عَزَّوَجَلَّ لم يجعل علينا من حرج في الدين، وأباح لنا ما نضطر إليه، وتقدير الضرورة إنما يقدرها العارفون بحقائق الأشياء والأحكام وأدلة ذلك.

الحديث الثالث والعشرون

عَنْ أَبِي مَالِكٍ الحَارِثِ بنِ عَاصِم الأَشْعَرِيِّ[١] رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الطُّهُورُ شَطْرُ الإِيْمَانِ، والحَمْدُ للهِ تَمْلأُ المِيزانَ، وَسُبْحَانَ اللهِ وَالحَمْدُ للهِ تَمْلآنِ -أَوْ تَمْلأُ- مَا بَيْنَ السَّمَاءِ والأَرْضِ، وَالصَّلَاةُ نُورٌ، وَالصَّدَقَةُ بُرْهَانٌ، وَالصَّبْرُ ضِيَاءٌ، وَالقُرْآنُ حُجَّةٌ لَكَ أَوْ عَلَيْكَ، كُلُّ النَّاسِ يَغْدُو؛ فَبَائِعٌ نَفْسَهُ فَمُعْتِقُهَا أَو مُوبِقُهَا». رواه مسلم[٢].

الشرح

هذا الحديث من أعظم جوامع الكلم التي أوتيها رسول الله

---

(١) كذا نسبه النووي هنا، وفي رياض الصالحين (ص١٤).

قال ابن حجر في تهذيب التهذيب (٢/ ١١٩) في ترجمة الحارث بن الحارث: «وقد أخرج أبو القاسم الطبراني هذا الحديث بعينه بهذا الإسناد في ترجمة الحارث بن الحارث الأشعري في الأسماء، فإما أن يكون الحارث بن الحارث يُكنَّى أيضًا أبا مالك، وإما أن يكونا واحدًا، والأول أظهر؛ فإن أبا مالك متقدم الوفاة».

وقال في ترجمة أبي مالك الأشعري (١٢/ ٢٣٩): «أبو مالك الأشعري له صحبة، قيل: اسمه الحارث بن الحارث، وقيل: عبيد الله، وقيل: عمرو، وقيل: كعب بن عاصم، وقيل: كعب بن كعب، وقيل: عامر بن الحارث بن هانئ بن كلثوم.

قلت: أبو مالك الأشعري الذي روى عنه أبو سلام الأسود، وشهر بن حوشب، ومن في طبقتهما، هو الحارث بن الحارث الأشعري، والفصل بينهما في غاية الإشكال، حتى قال أبو أحمد الحاكم في ترجمته: أبو مالك الأشعري أمره مشتبه جدًّا».

(٢) أخرجه مسلم (٢٢٣) من طريق زيد عن أبي سلام عن أبي مالك الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقوله: **(الطُّهورُ)** بالضم غير (الطَّهور) بالفتح، أحدهما للماء والآخر للفعل، قيل: إن ما كان بالضم فهو للماء، وما كان بالفتح فهو للفعل، وقيل بعكس ذلك.

وقوله: **(شَطْرُ الإِيمَانِ)**، الله جَلَّ وَعَلَا سمَّى الصلاة إيمانًا، في قوله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ﴾ [البقرة:١٤٣]؛ وذلك في تحويل القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة، تحدث الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ عن صلواتهم التي كانوا صلوها باتجاه بيت المقدس، وما هم منها، فأنزل الله: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ﴾[(١)].

وقول النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **(الطُّهُورُ شَطْرُ الإِيمَانِ)**، الصلاة هي الإيمان، وهي قسمان: أفعال وحركات تؤدى، واستعداد لها قبل ذلك، فكأنها شطران: شطر هو الطهور، وشطر هو أداء هذه الأعمال، وأما إذا قصد بالطهور: طهارة القلب -كما يقول أهل الظاهر- فإنه لا تصلح أعمال إلا بتحقق إخلاص العمل لله وطهارة القلب في تلك الحال.

ثم ذكر صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الأذكار وأهميتها، فينبغي للمسلم أن يوليها عناية تامة، فقال: **(وَالحَمْدُ للهِ تَمْلأُ المِيزَانَ، وَسُبْحَانَ اللهِ وَالحَمْدُ للهِ تَمْلآنِ -أَوْ: تَمْلأُ- مَا بَيْنَ السَّماءِ وَالأَرْضِ)**، ألفاظ خفيفة لا عناء في النطق بها يكتب الله للإنسان بسببها الخير العظيم.

قوله: **(وَالصَّلاةُ نُورٌ)**، الصلاة هي عمود الدين، من حفظها وحافظ

---

(١) أخرجه البخاري (٤٤٨٦)، ومسلم (٥٢٥) من حديث البراء رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.
ويُنظر: تفسير الطبري (٢/١٧)، وتفسير ابن كثير (١/١٩٣).

عليها كان له عند الله عهد أن يدخله الجنة، ولا أوفى من الله جَلَّ وَعَلَا، ومن لم يحافظ عليها فليس له عند الله عهد(١).

قوله: (**وَالصَّبْرُ ضِيَاءٌ**)، أي: نور ساطع.

هذه الأعمال هي في الحقيقة تشتمل -أيضًا- على هذه الأذكار، فهي تشتمل على (الحمد لله)، وعلى (سبحان الله)، وعلى التكبير، وعلى الشهادتين، فالصلاة تجمع أساس أركان الإيمان، وهي -كما هو معلوم- أعظم أركان الإسلام بعد الشهادتين.

ثم قال: (**وَالْقُرْآنُ حُجَّةٌ لَكَ أَوْ عَلَيْكَ**)، هذا القرآن العظيم الذي أنزله الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ نورًا وبرهانًا وهداية للخلق، العاملون به المتلذذون بتلاوته المتدبرون لمعانيه حجة لهم، يُقال لقارئ القرآن في الجنة: «**اقْرَأْ وَارْتَقِ وَرَتِّلْ كَمَا كُنْتَ تُرَتِّلُ فِي الدُّنْيَا، فَإِنَّ مَنْزِلَكَ عِنْدَ آخِرِ آيَةٍ تَقْرَؤُهَا**»(٢)، والقرآن شفيع لأهله وأوليائه. فقوله: (**حُجَّةٌ لَكَ**)، أي: حجة لمن عمل به؛ تلاوة وعملًا وحكمًا بما اشتمل عليه، وهو مع السنة فيه كفاية للخلق عن كل شيء، الله جَلَّ وَعَلَا ما فرَّط في الكتاب من شيء، وجعله تبيانًا لكل شيء، وأمر نبيه أن يبين للناس ما نزل للناس من ربهم.

---

(1) كما في حديث عبادة بن الصامت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**خَمْسُ صَلَوَاتٍ افْتَرَضَهُنَّ اللهُ تَعَالَى، مَنْ أَحْسَنَ وُضُوءَهُنَّ، وَصَلَّاهُنَّ لِوَقْتِهِنَّ، وَأَتَمَّ رُكُوعَهُنَّ وَخُشُوعَهُنَّ؛ كَانَ لَهُ عَلَى اللهِ عَهْدٌ أَنْ يَغْفِرَ لَهُ، وَمَنْ لَمْ يَفْعَلْ فَلَيْسَ لَهُ عَلَى اللهِ عَهْدٌ، إِنْ شَاءَ غَفَرَ لَهُ وَإِنْ شَاءَ عَذَّبَهُ**». أخرجه أبو داود (٤٢٥).

(٢) أخرجه أبو داود (١٤٦٤)، والنسائي في الكبرى (٥/ ٢٢)، والترمذي (١٩١٤)، وأحمد (٢/ ١٩٢) من حديث عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

وقوله: **(أَوْ عَلَيْكَ)**، من يقرأ القرآن ولا يعمل به، أو من يغفل عنه بعد معرفته له؛ يكون القرآن حجة عليه، ومن كان القرآن خصمه فإنه غير مفلح، كلام الله حق كله وهدى وبيان.

يقول النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **(كُلُّ النَّاسِ يَغْدُو)**، جميع الناس في صباحهم يغدون، المسألة مسألة بيع وشراء ومتاجرة، ولكنها نوعان: متاجرة رابحة حتمًا، وهي متاجرة من يعتق نفسه، **(فَبَائِعٌ نَفْسَهُ)**، البيع حاصل لا محالة، فإن كان بتقوى الله جَلَّ وَعَلَا، وأداء فرائض دينه، والتقرب إليه سبحانه بنوافل العبادات، والانكفاف عما حرم المولى عَزَّ وَجَلَّ، فهذا البائع يبيعها في سوق المرابحة الرابحة، فيعتقها.

والآخر يبيعها ولكن يبيعها بيع الباخسين[١] المفلسين فيوبقها، يبيعها سلعة لعدوها -للشيطان- كمن استعمل صحته ووقته وراحته في غير رضا الله، لا حرج إذا قضى شيئًا من الوقت فيما أباحه الله، ترويحًا لنفسه، والموفَّق من نظر في أحواله كلما أصبح وكلما أمسى، إذا أمسى ينظر هل الصفقة رابحة، هل حفظ نفسه عن الوقوع فيما حرَّم ربُّه عليه، إن وجد تفريطًا فبإمكانه أن يستعمل آلات المحو بالاستغفار والتوبة فيما بينه وبين خالقه جَلَّ وَعَلَا، وقضاء ما هو لعباده من الحقوق.

---

(١) البخس: النقص، والباخس: الظالم. ينظر: لسان العرب (بخس) (٦/ ٢٤)

الحديث الرابع والعشرون

عَنْ أَبِي ذَرٍّ الْغِفَارِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيمَا يَرْوِيهِ عَنْ رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ، أَنَّهُ قَالَ: «يَا عِبَادِي! إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي، وَجَعَلْته بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا؛ فَلَا تَظَالَمُوا، يَا عِبَادِي! كُلُّكُمْ ضَالٌّ إِلَّا مَنْ هَدَيْته، فَاسْتَهْدُونِي أَهْدِكُمْ، يَا عِبَادِي! كُلُّكُمْ جَائِعٌ إِلَّا مَنْ أَطْعَمْته، فَاسْتَطْعِمُونِي أُطْعِمْكُمْ، يَا عِبَادِي! كُلُّكُمْ عَارٍ إِلَّا مَنْ كَسَوْته، فَاسْتَكْسُونِي أَكْسُكُمْ، يَا عِبَادِي! إِنَّكُمْ تُخْطِئُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَأَنَا أَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا؛ فَاسْتَغْفِرُونِي أَغْفِرْ لَكُمْ، يَا عِبَادِي! إِنَّكُمْ لَنْ تَبْلُغُوا ضُرِّي فَتَضُرُّونِي، وَلَنْ تَبْلُغُوا نَفْعِي فَتَنْفَعُونِي، يَا عِبَادِي! لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ، وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ، كَانُوا عَلَى أَتْقَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ، مَا زَادَ ذَلِكَ فِي مُلْكِي شَيْئًا، يَا عِبَادِي! لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ، وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ، كَانُوا عَلَى أَفْجَرِ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِنْ مُلْكِي شَيْئًا، يَا عِبَادِي! لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ، وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ، قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ، فَسَأَلُونِي، فَأَعْطَيْتُ كُلَّ وَاحِدٍ مَسْأَلَتَهُ، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِي إِلَّا كَمَا يَنْقُصُ الْمِخْيَطُ إِذَا أُدْخِلَ الْبَحْرَ، يَا عِبَادِي! إِنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ أُحْصِيهَا لَكُمْ، ثُمَّ أُوَفِّيكُمْ إِيَّاهَا؛ فَمَنْ وَجَدَ خَيْرًا فَلْيَحْمَدِ اللَّهَ، وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ فَلَا يَلُومَنَّ

إِلَّا نَفْسَهُ». رواه مسلم[1].

الشـرح

هذا الحديث عن أبي ذر الغفاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حديث هامٌّ عظيم، علَّم فيه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ما يرويه عن ربه جَلَّ وَعَلَا؛ أن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى قال: **(يَا عِبَادِي! إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي، وَجَعَلْتُه بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا؛ فَلا تَظَالَمُوا)**، وكما ورد: **«الظُّلْمُ ظُلُمَاتٌ يوم الْقِيَامَةِ»**[2]، فلا يحل للمسلم أن يظلم أحدًا، وبخاصة المسلمين، قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«المُسْلِمُ أَخُو المُسْلِمِ لَا يَظْلِمُهُ ولا يَخْذُلُهُ ولا يَحْقِرُهُ»**[3].

فالله عَزَّ وَجَلَّ حرَّم على نفسه الظلم، فهو سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى حكم عدل، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ ٱلنَّاسَ شَيْـًٔا وَلَٰكِنَّ ٱلنَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [يونس:٤٤]، أخبر جَلَّ وَعَلَا أنه حرَّم الظلم على نفسه، ونهانا أن نتظالم، وأن لا يظلم أحدٌ أحدًا، وحذَّرنا من الظلم، وبيَّن عبده وخليله محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن الظلم ظلمات يوم القيامة، وحذَّر الظالم من دعوة المظلوم؛ كما في حديث معاذ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: **«اتَّقِ دَعْوَةَ المَظْلُومِ، فَإِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ اللهِ حِجَابٌ»**[4].

فينبغي على المسلم أن يحاسب نفسه في تعامله مع الآخرين، وأبشع

---

(١) برقم (٢٥٧٧).

(٢) أخرجه البخاري (٢٤٤٧)، ومسلم (٢٥٧٩) من حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٣) أخرجه مسلم (٢٥٦٤) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٤) تقدم تخريجه (ص٢٦)

الظلم وأسوؤه الشرك بالله؛ كما قال جَلَّ وَعَلَا عن لقمان وهو يوصي ابنه: ﴿يَٰبُنَيَّ لَا تُشۡرِكۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ﴾ [لقمان:١٣]، ولمَّا سمع الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ قول الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ﴾ [الأنعام:٨٢]، شقَّ عليهم، وقالوا: أَيُّنَا لَا يَظْلِمُ نَفْسَهُ؟! فقال رسول اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«لَيْسَ هُوَ كَمَا تَظُنُّونَ، إِنَّمَا هُوَ كَمَا قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ: ﴿يَٰبُنَيَّ لَا تُشۡرِكۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ﴾»**[1].

ثم يأتي التظالم بين العباد، وهو محرم، فلا يحل للإنسان أن يظلم غيره، مسلمًا كان أو كافرًا، ولكنه إذا ظلم المسلم فبشاعته كبيرة، وإذا ظلم القريب قريبه فأشد بشاعة، لاسيما أن القرابة ينتظر منها المؤازرة لا الظلم.

يقول جَلَّ وَعَلَا: **(يَا عِبَادِي! كُلُّكُمْ ضَالٌّ إِلَّا مَنْ هَدَيْتُهُ، فَاسْتَهْدُونِي أَهْدِكُمْ)**، ليس بحفظ الإنسان، ولا بكثرة تجاربه، ولا بهمته وعزمه يفوز بالهدى، وإنما يهدي الله من يشاء، ويضل من يشاء، وله في ذلك كله الحكمة البالغة.

ولخطورة الضلال ولأهمية الهداية شرع الله عَزَّوَجَلَّ لنا أن نستهديه، وأوجب علينا أن نستهديه في خمسة مواطن في كل يوم، في الصلوات الخمس، وفي سورة الفاتحة علَّمنا كيفية الأدب مع السؤال؛ يبدأ العبد بالثناء على ربه وتمجيده وتعظيمه، ثم يسأله الهداية؛ لأهمية الهداية وخطورة طريق الضلال شُرع لعباد الله أن يسألوا ربهم الهداية، والناس كلهم ضالٌّ إلا من هداه الله، وفي الحديث: **«كُلُّ ابن آدَمَ خَطَّاءٌ، وَخَيْرُ**

---

(١) أخرجه البخاري (٣٣٦٠)، ومسلم (١٢٤) من حديث ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

الخَطَّائِينَ التَّوَّابُونَ»(١)، وسيأتي في آخر الحديث: (يَا عِبَادِي! إِنَّكُمْ تُخْطِئُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ).

قوله: (يَا عِبَادِي! كُلُّكُمْ جَائِعٌ إِلَّا مَنْ أَطْعَمْتُهُ، فَاسْتَطْعِمُونِي أُطْعِمْكُمْ)، الله جَلَّ وَعَلَا هو الرزاق ذو القوة المتين، فقد يملك الإنسان أكمل أنواع الأغذية ثم لا يستطيع أن ينتفع بها، يملك ما لذَّ منها وطاب ويحول بينه وبين تناولها أنواع من العلل والأمراض أو غير ذلك! فالله تَبَارَكَ وَتَعَالَى هو المطعم.

قوله: (يَا عِبَادِي! كُلُّكُمْ عَارٍ)، كلكم لا كسوة له، (إِلَّا مَنْ كَسَوْتُهُ، فَاسْتَكْسُونِي أَكْسُكُمْ)، لاشك أن أسوأ العُري فَقْدُ لباس التقوى، ويشمل ذلك في هذا الحديث: لباس التقوى، والثياب التي يلبسها المسلم، وكل ذلك من الله، فنسأل ربنا جَلَّ وَعَلَا المسألة أن يهدينا، وأن يطعمنا، وأن يكسونا.

ثم قال: (يَا عِبَادِي! إِنَّكم لَنْ تَبْلُغُوا ضُرِّي فَتَضُرُّونِي، وَلَنْ تَبْلُغُوا نَفْعِي فَتَنْفَعُونِي)، وورد في الحديث: (لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ، وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ، قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ، فَسَأَلُونِي، فَأَعْطَيْتُ كُلَّ وَاحِدٍ مَسْأَلَتَهُ، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِي إِلَّا كَمَا يَنْقُصُ الْمِخْيَطُ إِذَا أُدْخِلَ الْبَحْرَ)، أي: كما تنقص الإبرة إذا غُمست في البحر المتلاطم، فخزائنه ملأى مع كثرة الإنفاق؛ قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَدُ اللهِ مَلأَى لَا تَغِيضُهَا نَفَقَةٌ، سَحَّاءُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ، أَرَأَيْتُمْ

---

(١) تقدم تخريجه (ص٧٤).

مَا أَنْفَقَ مُنْذُ خَلَقَ السَّمَاءَ وَالأَرْضَ؟ فَإِنَّهُ لَمْ يَغِضْ مَا فِي يَدِهِ!»(١).

قوله: (**يَا عِبَادِي! لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ، وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ، كَانُوا عَلَى أَتْقَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ، مَا زَادَ ذَلِكَ فِي مُلْكِي شَيْئًا**)، لا تنفع الله جَلَّ وَعَلَا طاعة الطائعين، قال تعالى: ﴿إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا﴾ [الإسراء:٧]، فربنا ليس بظلام للعبيد، وقد بين لنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ الطريق الآمن، والطريق المحفوف بالمخاطر والمكاره، وهدانا النجدين، فمن أراد لنفسه السعادة والأمن من الأخطار فليسلك الصراط المستقيم.

ففي حديث عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: خَطَّ لَنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خطًّا، فَقَالَ: «**هَذَا سَبِيلُ اللهِ**»، ثُمَّ خَطَّ خُطُوطًا عَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ شِمَالِهِ، ثُمَّ قَالَ: «**وَهَذِهِ سُبُلٌ، عَلَى كُلِّ سَبِيلٍ مِنْهَا شَيْطَانٌ يَدْعُو إِلَيْهِ، ثُمَّ تَلَا ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ...﴾** [الأنعام:١٥٣]، **إِلَى آخِرِ الآيَة**»(٢).

قوله: (**يَا عِبَادِي! إِنَّكُمْ تُخْطِئُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَأَنَا أَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا، فَاسْتَغْفِرُونِي أَغْفِرْ لَكُمْ**)، ربنا أرحم الراحمين، فهو أرحم من الوالدة بولدها، «**وَلَا يَهْلِكُ عَلَى اللهِ إِلَّا هَالِكٌ**»(٣)، يأمرنا تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أن نستغفره،

---

(1) أخرجه البخاري (٤٦٨٤)، ومسلم (٩٩٣) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه النسائي في الكبرى (٦/٣٤٣)، وأحمد (١/٤٣٥)، وابن حبان (١/١٨٠)، والبزار (٥/٩٩).

(٣) أخرجه مسلم (١٣١) من حديث الجعد بن أبي عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وأخبرنا أنه غفَّار، يقول جلَّ وَعَلَا: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ﴾ [طه:٨٢]، ويقول للمسرفين على أنفسهم: ﴿يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾ [الزمر:٥٣]، وإنما يحتاج العباد إلى أن يتوبوا إليه ويستغفروه.

ثم يقول: **(يَا عِبَادِي! إِنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ أُحْصِيهَا لَكُمْ، ثُمَّ أُوَفِّيكُمْ إِيَّاهَا، فَمَنْ وَجَدَ خَيْرًا فَلْيَحْمَدِ اللهَ)**، أي: أن هذا الخير ليس بحولك وقوتك وعزمك، وإنما هو بلطف اللطيف الخبير، فاشكره على ما يسر لك، ولو شاء لم يشملك بلطفه، ومن لم يشمله الله بلطفه اجتالته الشياطين، فإن الشياطين في نشاط بالغ، وعمل متواصل، يحولون بين المرء وبين التوبة، بينما من وفَّقه الله واستعان به وبأسمائه وصفاته، وامتثال أوامره واجتناب نواهيه؛ سلم بإذن الله، **(وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ، فَلا يَلُومَنَّ إِلَّا نَفْسَهُ)**:

فَنَفْسَكَ لُمْ وَلَا تَلُمِ الْمَطَايَا وَمُتْ كَمَدًا فَلَيْسَ لَكَ اعْتِذَارُ[1]

إذا رأى الإنسان المفرِّط المحسنين، ورأى صحائفهم بأيمانهم وهو بعكس ذلك، تُصبه الحسرة، نسأل الله السلامة والعافية في الدنيا والآخرة.

---

(١) يُنظر: المدهش لابن الجوزي (ص٢٩٣).

الحديث الخامس والعشرون

عَـنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ -أَيْـضًا- أَنَّ نَاسًـا مِـنْ أَصْـحَابِ رَسُـولِ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قَـالُوا لِلنَّـبِيِّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: يَـا رَسُـولَ اللهِ! ذَهَـبَ أَهْـلُ الدُّثُورِ بِالْأُجُورِ؛ يُصَلُّونَ كَمَا نُصَلِّي، وَيَصُومُونَ كَمَا نَصُومُ، وَيَتَـصَدَّقُونَ بِفُضُولِ أَمْوَالِهِمْ. قَالَ: «أَوَلَيْسَ قَـدْ جَعَـلَ اللَّهُ لَكُـمْ مَـا تَـصَّدَّقُونَ؟ إِنَّ بِكُلِّ تَسْبِيحَةٍ صَدَقَةً، وَكُلِّ تَكْبِيرَةٍ صَـدَقَةً، وَكُلِّ تَحْمِيـدَةٍ صَـدَقَةً، وَكُلِّ تَهْلِيلَةٍ صَدَقَةً، وَأَمْرٌ بِمَعْرُوفٍ صَـدَقَةٌ، وَنَـهْيٌ عَـنْ مُنْكَـرٍ صَـدَقَةٌ، وَفِي بُـضْعِ أَحَـدِكُمْ صَـدَقَةٌ». قَـالُوا: يَـا رَسُـولَ اللَّهِ! أَيَـأْتِي أَحَـدُنَا شَـهْوَتَهُ وَيَكُونُ لَهُ فِيهَا أَجْرٌ؟! قَالَ: «أَرَأَيْتُمْ لَـوْ وَضَـعَهَا فِي حَـرَامٍ أَكَـانَ عَلَيْـهِ وِزْرٌ؟ فَكَذَلِكَ إِذَا وَضَعَهَا فِي الْحَلَالِ، كَانَ لَهُ أَجْرٌ». رواه مسلم[1].

الشـرح

هذا الحديث فيما يتعلق بمنافسة الفقراء للأغنياء، ومحبتهم أن يدركوا ما أدركه الأغنياء من سبل الخير، وقد شكوا للنبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ وقالوا: **(ذَهَبَ أَهْلُ الدُّثُورِ بِالأُجُورِ)**، الدثور: هي الأموال[2]، يشاركونهم في الأفعال من صلاة وقيام وأنواع العبادات البدنية، ويزيد عليهم أهل

(١) رقم (١٠٠٦).

(٢) الدثور: جمع دثر، وهو: المال الكثير، يُقال: هم أهل دثر ودثور، ومال دثر. يُنظر: لسان العرب (٤/ ٢٧٧) (دثر).

الأموال بما يبذلونه من نفقات، وتجهيز الجيوش، والإنفاق في سبيل الله؛ كما فعل عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ثالث الخلفاء الراشدين حيث جهَّز جيش العسرة بأكمله(١).

لما اشتكوا قال لهم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **(أَوَلَيْسَ قَدْ جَعَلَ اللهُ لَكُمْ مَا تَصَدَّقُونَ؟)**، ثم أخبرهم بهذه الأذكار، **(إِنَّ بِكُلِّ تَسْبِيحَةٍ صَدَقَةً، وَكُلِّ تَكْبِيرَةٍ صَدَقَةً، وَكُلِّ تَحْمِيدَةٍ صَدَقَةً، وَكُلِّ تَهْلِيلَةٍ صَدَقَةً، وَأَمْرٌ بِمَعْرُوفٍ صَدَقَةٌ، وَنَهْيٌ عَنْ مُنْكَرٍ صَدَقَةٌ، وَفِي بُضْعِ أَحَدِكُمْ صَدَقَةٌ)**، فإذا جامع الرجل امرأته أعفَّ نفسه وأعفَّها؛ كان بذلك العمل متصدقًا على نفسه وعلى زوجته.

فتعجبوا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وقالوا: **(يَا رَسُولَ اللهِ! أَيَأْتِي أَحَدُنَا شَهْوَتَهُ وَيَكُونُ لَهُ فِيهَا أَجْرٌ؟!)**، قَالَ: **(أَرَأَيْتُمْ لَوْ وَضَعَهَا فِي حَرَامٍ أَكَانَ عَلَيْهِ وِزْرٌ؟ فَكَذَلِكَ إِذَا وَضَعَهَا فِي الْحَلَالِ، كَانَ لَهُ أَجْرٌ)**.

هذه الأذكار لها أهمية عظيمة؛ كما مرَّ في حديث: **«والحَمْدُ للهِ تَمْلأُ**

---

(١) كما في الحديث عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ خَبَّابٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: شَهِدْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ يَحُثُّ عَلَى جَيْشِ العُسْرَةِ، فَقَامَ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، عَلَيَّ مِائَةُ بَعِيرٍ بِأَحْلَاسِهَا وَأَقْتَابِهَا فِي سَبِيلِ اللهِ، ثُمَّ حَضَّ عَلَى الجَيْشِ، فَقَامَ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، عَلَيَّ مِائَتَا بَعِيرٍ بِأَحْلَاسِهَا وَأَقْتَابِهَا فِي سَبِيلِ اللهِ، ثُمَّ حَضَّ عَلَى الجَيْشِ، فَقَامَ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، عَلَيَّ ثَلَاثُمِائَةِ بَعِيرٍ بِأَحْلَاسِهَا وَأَقْتَابِهَا فِي سَبِيلِ اللهِ. فَأَنَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَنْزِلُ عَنِ المِنْبَرِ وَهُوَ يَقُولُ: **«مَا عَلَى عُثْمَانَ مَا عَمِلَ بَعْدَ هَذِهِ، مَا عَلَى عُثْمَانَ مَا عَمِلَ بَعْدَ هَذِهِ»**. أخرجه أحمد (٤/٧٥)، والترمذي (٣٧٠٠) واللفظ له.

وأخرج البخاري (٢٧٧٨) عن عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه أنشد الصحابة حين حُوصِر، فقال: «أَلَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّهُ قَالَ: **«مَنْ جَهَّزَ جَيْشَ العُسْرَةِ فَلَهُ الجَنَّةُ»**؟ فَجَهَّزْتُهُمْ».

المِيزَانَ»(١)، يذكر الإنسان ربه في طريقه، وفي جلوسه، وفي عمله الذي يؤديه، من لطف الله جَلَّ وَعَلَا بعباده، وجميل عطائه، وجزيل إحسانه، ما شرعه بهذه الأذكار، العامل الذي يمتهن العمل بقوة بدنه لا يثقله الذكر، بل إن ذكر الله مما يعين على أعباء الدنيا؛ كما في حديث علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أَنَّ فَاطِمَةَ اشْتَكَتْ ما تَلْقَى من الرَّحى مِمَّا تَطْحَنُ، فَبَلَغَهَا أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُتِيَ بِسَبْيٍ، فَأَتَتْهُ تَسْأَلُهُ خَادِمًا، فَلَمْ تُوَافِقْهُ، فَذَكَرَتْ لِعَائِشَةَ، فَجَاءَ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَذَكَرَتْ ذلك عَائِشَةُ لَهُ»، ولكنه دلَّها وزوجها رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا على أفضل من ذلك، فقال: **«أَلا أَدُلُّكُمَا عَلَى خَيْرٍ مِمَّا سَأَلْتُمَاهُ؟ إِذَا أَخَذْتُمَا مَضَاجِعَكُمَا فَكَبِّرَا اللهَ أَرْبَعًا وَثَلاثِينَ، وَاحْمَدَا ثَلاثًا وَثَلاثِينَ، وَسَبِّحَا ثَلاثًا وَثَلاثِينَ، فَإِنَّ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمَا مِمَّا سَأَلْتُمَاهُ»**(٢).

فالأذكار لها شأنها؛ لأن القلب إذا اطمئن وارتاح نشط فينشط الجسد كله، وأعظم ما يُنَشِّط القلب: اجتناب الحرام، وأداء العبادات، والتلذذ بها، والإكثار من ذكر الله جَلَّ وَعَلَا.

---

(١) الحديث الثالث والعشرون من الأربعين النووية، تقدم تخريجه (ص٨٥).

(٢) أخرجه البخاري (٣١١٣).

الحديث السادس والعشرون

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «كُلُّ سُلَامَى مِنَ النَّاسِ عَلَيْهِ صَدَقَةٌ، كُلَّ يَوْمٍ تَطْلُعُ فِيهِ الشَّمْسُ تَعْدِلُ بَيْنَ اثْنَيْنِ صَدَقَةٌ، وَتُعِينُ الرَّجُلَ فِي دَابَّتِهِ فَتَحْمِلُهُ عَلَيْهَا أَوْ تَرْفَعُ لَهُ عَلَيْهَا مَتَاعَهُ صَدَقَةٌ، وَالْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ صَدَقَةٌ، وَبِكُلِّ خُطْوَةٍ تَمْشِيهَا إِلَى الصَّلَاةِ صَدَقَةٌ، وَتُمِيطُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ صَدَقَةٌ». رواه البخاري ومسلم[١].

الشرح

هذا الحديث له صلة بحديث: **«ذَهَبَ أهلُ الدُّثُورِ بالأُجُورِ»**، فأهل الدثور يبنون المساجد، ويجعلون المياه في الطرقات للسابلة، ويبذلون ويبذلون، والفقير الذي لا مال له يَسَّر اللهُ عليه أنواعًا من الصدقات لا تستلزم مالًا؛ كالذكر، وإماطة الأذى عن الطريق.

وقد جاء في الحديث: **«بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِي بِطَرِيقٍ وَجَدَ غُصْنَ شَوْكٍ عَلَى الطَّرِيقِ فَأَخَّرَهُ، فَشَكَرَ اللهُ لَهُ، فَغَفَرَ له»**[٢]، ففي إماطة ما يؤذي من الطريق شعبة من شعب الإيمان، و**«الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ...»**[٣].

وكذلك العاجز عن حمل متاعه إذا ساعده إنسان في حمله؛ يكون

---

(١) أخرجه البخاري (٢٩٨٩)، ومسلم (١٠٠٩).

(٢) أخرجه البخاري (٦٥٢)، ومسلم (١٩١٤) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) تقدم تخريجه (ص٦١).

تصدق عليه، وفي هذا الحديث: (**كُلُّ سُلامَى مِنَ النَّاسِ عَلَيْهِ صَدَقَةٌ**)، فيجب عليه ستين وثلاثمائة صدقة، وهي عدد سلامى جسم الإنسان.

وفي حديث آخر: «**تَدَعُ النَّاسَ مِنَ الشَّرِّ، فَإِنَّهَا صَدَقَةٌ تَصَدَّقُ بِهَا عَلَى نَفْسِكَ**»(١)، أي: تكف أذاك عن الناس، فإنها صدقة تصدق بها على نفسك، وفي لفظ آخر بعد ذكر الأذكار قال: «**وَيُجْزِئُ مِنْ ذَلِكَ رَكْعَتَانِ يَرْكَعُهُمَا مِنَ الضُّحَى**»(٢)، أي: أن كل واحد إذا أصبح؛ أصبح وقد وجب عليه أن يتصدق بستين وثلاثمائة صدقة، والحديث في "صحيح مسلم".

فإذا لم يتيسر له أن يفعل شيئًا فليصلِّ ركعتي الضحى، وتجزئانه عن دفع ستين وثلاثمائة صدقة، ما جعل الله علينا حرجًا في ديننا، بل يَسَّر وسَهَّل لنا أسباب تحصيل الأجور، وتخفيف الذنوب، وإنما يقصر من يقصر على نفسه.

---

(١) أخرجه البخاري (٢٥١٨)، ومسلم (٨٤) من حديث أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه مسلم (٧٢٠) من حديث أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

الحديث السابع والعشرون

عَنِ النَّوَّاسِ بْنِ سَمْعَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «الْبِرُّ حُسْنُ الْخُلُقِ، وَالْإِثْمُ مَا حَاكَ فِي صَدْرِك، وَكَرِهْتَ أَنْ يَطَّلِعَ عَلَيْهِ النَّاسُ»، رَوَاهُ مُسْلِمٌ[1].

وَعَنْ وَابِصَةَ بْنِ مَعْبَدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: أَتَيْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: «جِئْتَ تَسْأَلُ عَنِ الْبِرِّ؟»، قُلْتُ: نَعَمْ. فقَالَ: «اسْتَفْتِ قَلْبَكَ، الْبِرُّ مَا اطْمَأَنَّتْ إِلَيْهِ النَّفْسُ، وَاطْمَأَنَّ إِلَيْهِ الْقَلْبُ، وَالْإِثْمُ مَا حَاكَ فِي النَّفْسِ، وَتَرَدَّدَ فِي الصَّدْرِ، وَإِنْ أَفْتَاك النَّاسُ وَأَفْتَوْك». حَدِيثٌ حَسَنٌ، رَوَيْنَاهُ فِي مُسْنَدَي الْإِمَامَيْنِ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ، وَالدَّارِمِيّ بِإِسْنَادٍ حَسَنٍ[2].

الشرح

هذان الحديثان معناهما متقارب أو واحد.

قوله: **(وَالإِثْمُ مَا حَاكَ فِي نَفْسِكَ)**، أي: ما تردد الإنسان فيه، ولم يطمئن إلى وجوده والعمل به، وكره أن يعلم الناس أن ذلك من أفعاله، فهو من الإثم.

وأما البر: ففي الأثر عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: «البر شيء هين؛

---

(١)أخرجه مسلم (٢٥٥٣).

(٢)أخرجه أحمد (٤/ ٢٢٧)، والدارمي (٢/ ٢٤٦).

وجه طلق، وكلام هين»[١].

ومن البر: أن تلقى الناس بما تحب أن يلقوك به؛ من الرضا، والبشر، وخفض الجناح، ولين الجانب. فالإنسان لا يستطيع أن يسع الناس بماله، ولكنه إذا وفِّق يسعهم بخلقه وأدبه، واحترامه لمشاعرهم، وتجنب استهجان أعمالهم، إلَّا ما كان من عمل منكر.

وحديث وابصة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ في بعض ألفاظه قال له النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«يا وَابِصَةُ، أُخْبِرُكَ مَا جِئْتَ تَسْأَلُنِي عَنْهُ أو تَسْأَلُنِي؟»**[٢]، وكون النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أطلعه الله على حاجة المرء قبل أن يتكلم بها، فذلك من دلائل النبوة التي خُصَّ بها عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ.

---

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في الصمت وآداب اللسان (ص ١٨٠)، والبيهقي في شعب الإيمان (٦/ ٢٥٥)، وابن عساكر في تاريخ دمشق (٣١/ ١٦٧).

(٢) أخرجه أحمد (٤/ ٢٢٨).

الحديث الثامن والعشرون

عَنْ أَبِي نَجِيحٍ الْعِرْبَاضِ بْنِ سَارِيَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: وَعَظَنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَوْعِظَةً، وَجِلَتْ مِنْهَا الْقُلُوبُ، وَذَرَفَتْ مِنْهَا الْعُيُونُ، فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ! كَأَنَّهَا مَوْعِظَةُ مُوَدِّعٍ فَأَوْصِنَا، قَالَ: «أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى اللهِ، وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ وَإِنْ تَأَمَّرَ عَلَيْكُمْ عَبْدٌ، فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ فَسَيَرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا، فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ، عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الْأُمُورِ؛ فَإِنَّ كُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ». رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ، وَالتِّرْمِذِيُّ، وَقَالَ: (حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ)[1].

الشرح

حديث العرباض بن سارية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في بعض ألفاظه يقول: «وَعَظَنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ موعظةً بَلِيغَةً»، أي: لها أثر بالغ في النفوس.

قوله: (**وَذَرَفَتْ مِنْهَا الْعُيُونُ**)، فكأن العيون امتلأت بالدمع حتى ذرفت الماء بعد امتلائها، فأحسوا أن هذه الموعظة البليغة إنما هي لقرب توديع النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لهم ، أي: لقرب أجله، فقالوا: (**يَا رَسُولَ اللَّهِ!**

(١) أخرجه أبو داود (٤٦٠٧)، والترمذي (٢٦٧٦)، وابن ماجه (٤٢، ٤٣، ٤٤)، وأحمد (٤/١٢٦)، والدارمي (٩٥)، والطبراني في الكبير (٦٢٣)، وابن حبان (١/١٧٨)، والحاكم (١/١٧٦)، والبيهقي في الكبرى (١٠/١١٤).

كَأَنَّهَا مَوْعِظَةُ مُوَدِّعٍ فَأَوْصِنَا)، فأوصاهم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بما من شأنه أن تجتمع الكلمة، ويتحد الصف، ويتحقق التعاون، فإن المسلمين لو اتحد صفهم، واتفقت كلمتهم، وصدق تعاونهم، ما وجد المجرمون من أعداء الإسلام سبيلًا لإذلال المسلمين وتغريبهم داخل أوطانهم، فإن عامَّة المسلمين اليوم غرباء في أوطانهم!

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ وهو يحكي حال أمثاله من أهل السنة ويتحدث عن الغربة في ميميته[1]:

وَأَيُّ اغْتِرَابٍ فَوْقَ غُرْبَتِنَا الَّتِي   لَهَا أَضْحَتِ الأَعْدَاءُ فِينَا تَحَكَّمُ

فماذا يقول إذا كان بيننا ورأى ما يتحكم به الأعداء بالمسلمين في زماننا هذا؟!

والله جَلَّ وَعَلَا حكيم عليم، ما نسي عباده، ولكن عباده تناسوا أمرهم فأنساهم أنفسهم، فنسأل الله أن يحقق لنا اليقظة الصادقة بالتمسك بدينه، ومراجعته بصدق، حتى لا تستمر المذلة؛ لأن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: **«إذا تَبَايَعْتُمْ بِالْعِينَةِ، وَأَخَذْتُمْ أَذْنَابَ الْبَقَرِ، وَرَضِيتُمْ بِالزَّرْعِ، وَتَرَكْتُمُ الْجِهَادَ، سَلَّطَ اللهُ عَلَيْكُمْ ذُلًّا لَا يَنْزِعُهُ حَتَّى تَرْجِعُوا إِلَى دِينِكُمْ»**[2].

قوله: **(وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ)**، يعني: لمن وُلِّي عليكم، فعليكم بالسمع والطاعة بعد التمسك بسنته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ من عبادات ومعاملات. وقد

---

(١) يُنظر: حادي الأرواح (ص٧).

(٢) أخرجه أبو داود (٣٤٦٢)، والبيهقي في الكبرى (٥/٣١٦)، وابن عدي في الكامل (٥/٣٦٠)، وأبو نعيم في حلية الأولياء (٥/٢٠٩) من حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

جاء في بعض الألفاظ: «**اسْمَعُوا وَأَطِيعُوا، وَإِنِ اسْتُعْمِلَ حَبَشِيٌّ كَأَنَّ رَأْسَهُ زَبِيبَةٌ**»[1]، العرب في جاهليتهم كانوا لا يرون لأي جنس كان مزية عليهم، أو مدانة، حتى كسرى لـمَّا أراد أن يصطفي بنات النعمان رفض، وكسرى وهو ملك الفرس -إحدى الدولتين العظيمتين في ذلك الزمان- ردَّه؛ لأنه لا يراه كفوًا لبنات العرب.

فالسمع والطاعة من أصول أهل السنة والجماعة، يجب في المنشط والمسعى، وإذا مُنع الناس من الذي لهم وأُخذ ما عليهم، يُسَلِّمون للأمر ويسألون الله؛ وذلك لِـمَا في الاختلاف والتناحر من الشرِّ، والبلاء، والمذلة، والمهانة، وذهاب الريح؛ كالحال التي يراها الناس على المسلمين في يومنا هذا.

ثم قال: (**فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي، وسُنَّةِ الخُلَفَاء الرَّاشِدِينَ المَهْدِيينْ، عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ**)، ثم حذَّرنا صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ من كل بدعة، فقال: (**وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الأُمُورِ، فَإِنَّ كُلَّ بِدْعَةٍ ضَلالَةٌ**)، وفي لفظ: «**وَكُلُّ ضَلالَةٍ فِي النَّارِ**»[2]. والمقصود بهذا: بدع العبادات، وأمَّا الابتداع في تحقيق التفوق في أمور الدنيا فلا مضرة فيه، فإن صاحَبَه إرادةُ نصرِ الإسلام، وردِّ الأعداء وردعهم عن الإقدام على انتهاك بلاد الإسلام؛ كان من أفضل الأعمال.

---

(١) أخرجه البخاري (٦٩٣) من حديث أنس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

(٢) أخرجه النسائي (١٥٧٨)، وابن خزيمة (٣/١٤٣)، من حديث جابر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، والطبراني في الكبير (٨٥٢١) من حديث ابن مسعود رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

الحديث التاسع والعشرون

عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قُلْت يَا رَسُولَ اللهِ! أَخْبِرْنِي بِعَمَلٍ يُدْخِلُنِي الْجَنَّةَ وَيُبَاعِدْنِي مِنْ النَّارِ، قَالَ: «لَقَدْ سَأَلْت عَنْ عَظِيمٍ، وَإِنَّهُ لَيَسِيرٌ عَلَى مَنْ يَسَّرَهُ اللهُ عَلَيْهِ: تَعْبُدُ اللهَ لَا تُشْرِكْ بِهِ شَيْئًا، وَتُقِيمُ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِي الزَّكَاةَ، وَتَصُومُ رَمَضَانَ، وَتَحُجُّ الْبَيْتَ»، ثُمَّ قَالَ: «أَلَا أَدُلُّك عَلَى أَبْوَابِ الْخَيْرِ؟ الصَّوْمُ جُنَّةٌ، وَالصَّدَقَةُ تُطْفِئُ الْخَطِيئَةَ كَمَا يُطْفِئُ الْمَاءُ النَّارَ، وَصَلَاةُ الرَّجُلِ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ»، ثُمَّ تَلَا: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ﴾، حَتَّى بَلَغَ ﴿يَعْمَلُونَ﴾ [السجدة:١٦، ١٧].

ثُمَّ قَالَ: «أَلَا أُخْبِرُك بِرَأْسِ الْأَمْرِ وَعَمُودِهِ وَذُرْوَةِ سَنَامِهِ؟»، قُلْت: بَلَى يَا رَسُولَ اللهِ! قَالَ: «رَأْسُ الْأَمْرِ الْإِسْلَامُ، وَعَمُودُهُ الصَّلَاةُ، وَذُرْوَةُ سَنَامِهِ الْجِهَادُ»، ثُمَّ قَالَ: «أَلَا أُخْبِرُك بِمِلَاكِ ذَلِكَ كُلِّهِ؟»، فقُلْت: بَلَى يَا رَسُولَ الله! فَأَخَذَ بِلِسَانِهِ وَقَالَ: «كُفَّ عَلَيْك هَذَا». قُلْت: يَا نَبِيَّ اللهِ، وَإِنَّا لَمُؤَاخَذُونَ بِمَا نَتَكَلَّمُ بِهِ؟! فَقَالَ: «ثَكِلَتْك أُمُّك! وَهَلْ يَكُبُّ النَّاسَ عَلَى وُجُوهِهِمْ -أَوْ قَالَ عَلَى مَنَاخِرِهِمْ- إلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ؟!».

رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ، وَقَالَ: (حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ)[١].

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٦١٦)، والنسائي في الكبرى (٦/٤٢٨)، وابن ماجه (٣٩٧٣)، وأحمد (٥/٢٣١)، والحاكم (٢/٤٤٧)، والبيهقي في شعب الإيمان (٣/٣٩).

....

الشــرح

في هـذا الحـديث -حـديث معـاذ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ- هـذا البيـان العظيم فيما يتعلق بخوف الله ومراقبته.

قوله: **(وَعَمُودُهُ الصَّلاةُ)**، هذا فيه عظم شأن الصلاة، وأنها عمود الدين، وإذا سقط عمود الخيمة لم تبق قائمة.

قوله: **(وَذِرْوَةُ سَنَامِهِ الْجِهَادُ)**، أي: أعلاه الجهاد في سبيل الله، ثم بقية الأعمال الداخلة في الإسلام، وصلاة الرجل في جوف الليل تدل على خوف الله، والرغبة فيما عند الله، والتعرض لعطايا الرب تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ في تلك الساعات التي يغفل كثير من الناس عنها؛ إما في راحة وإخلاد للراحة، وإما في هذه الأزمنة المتأخرة في سهر أقل أحواله أنه على سهر مباح، ولكنه يفضي إلى عدم الاستيقاظ لصلاة الفجر، وفي ذلك ما فيه من الإثم.

أما أهل صلاة التهجد الراغبون فيما عند الله، فالله أثنى عليهم فقال: **﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ﴾**؛ كأن الإنسان قد وضع جنبه على موضع خشن يمل البقاء عليه، ولكنهم تتجافى جنوبهم استثقالًا للنوم، ورغبة في مناجاة الله، والتعرض لإجابة الدعاء.

والنبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ سُئِل في الحديث الصحيح: يا رَسُولَ اللهِ، أَيُّ اللَّيْلِ أَسْمَعُ؟ قال: **«جَوْفُ اللَّيْلِ الآخِرُ»**[1].

---

(١) أخرجه أبو داود، واللفظ له (١٢٧٧)، والترمذي (٣٥٧٩)، والنسائي (٥٧٢).

إذا غفل الناس أو أكثرهم ما بين نائم أو مشغول بمتع الدنيا، فقام الراغبون الصادقون يتضرعون إلى الله، ﴿يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا﴾ من عذابه، ﴿وَطَمَعًا﴾ فيما أعده من الثواب بإخلاص، فلما كان من ذلك فلا أحد يعلم ما ادخر الله لهم، والموفَّق من اعتنى بنفسه واستعد لها؛ كما قال جلَّ وَعَلَا: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ﴾ [الحشر:١٨].

الحديث الثلاثون

عَنْ أَبِي ثَعْلَبَةَ الْخُشَنِيِّ جُرْثُومِ بْنِ نَاشِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى فَرَضَ فَرَائِضَ فَلَا تُضَيِّعُوهَا، وَحَدَّ حُدُودًا فَلَا تَعْتَدُوهَا، وَحَرَّمَ أَشْيَاءَ فَلَا تَنْتَهِكُوهَا، وَسَكَتَ عَنْ أَشْيَاءَ رَحْمَةً لَكُمْ غَيْرَ نِسْيَانٍ فَلَا تَبْحَثُوا عَنْهَا». حَدِيثٌ حَسَنٌ، رَوَاهُ الدَّارَقُطْنِي، وَغَيْرُهُ[١].

الشــرح

هـذا الحـديث فيـه الأمـر بطاعـة الله، والنهـي عـن تعـدي حـدود الله، والعمـل بـما شرعـه الله جَلَّ وَعَلَا، وفيـه بيـان أن مـا سـكت الله عنـه ولم يُبيِّنـه ليس فيه تحريم، ولم يشمله حظر، وأن السكوت عنه من الله ليس غفلة، وإنما رحمة بعباده، فالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى خلق لعباده ما في الأرض، لكن دون أن يعتدي أحد على أحد، أو يستأثر أحد بمباحات الله عن الآخرين ظلمًا وعـدوانًا، وكلـما تقيَّـد النـاس بـما جـاء عـن الله في كتابـه أو في سـنة رسـوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مـن أخْـذٍ وتَـرْكٍ وبَـذْلٍ وعطـاءٍ وعَمَـلٍ؛ كلـما حقَّـق الله لهـم السعادة، ندعو الله أن يحقق للجميع ذلك.

---

(١) أخرجـه الـدارقطني (١٨٣/٤، ١٨٤)، والطـبراني في الكبـير (٥٨٩) وفي مـسند الـشاميين (٣٣٨/٤)، وأبـو نعـيم في الحليـة (١٧/٩)، والحـاكم (١٢٩/٤)، والبيهقـي في الكـبرى (١٢/١٠).

الحديث الحادي والثلاثون

عَنْ أَبِي الْعَبَّاسِ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ السَّاعِدِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! دُلَّنِي عَلَى عَمَلٍ إِذَا عَمِلْتُهُ أَحَبَّنِي اللَّهُ وَأَحَبَّنِي النَّاسُ؛ فَقَالَ: «ازْهَدْ فِي الدُّنْيَا يُحِبَّكَ اللَّهُ، وَازْهَدْ فِيمَا عِنْدَ النَّاسِ يُحِبَّكَ النَّاسُ». حديث حسن، رَوَاهُ ابْنُ مَاجَهْ، وَغَيْرُهُ بِأَسَانِيدَ حَسَنَةٍ[1].

الشرح

هذا الحديث يحث على مكارم الأخلاق؛ يحث الناس أن يزهد أحدهم فيما في أيدي الناس، فإن الناس يكرهون من يتطلع إلى ما عندهم، فإذا لم يتطلع إلى ما عندهم وأحبَّ لهم الخير أحبوه.

وأكثر ما تكون الموالاة والمعاداة في أهل الدنيا على أمور الدنيا، ولا يتنافس الناس منافسة شديدة إلا على أمر الدنيا، يمكن أن يوجد تنافس بين أولياء الله في المسابقة إلى نيل رضا الله، لكن ذلك ليس بكثير، قال تعالى: ﴿وَمَآ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوۡ حَرَصۡتَ بِمُؤۡمِنِينَ﴾ [يوسف:١٠٣]، أكثر الناس على منافسة في أمور الدنيا.

فإذا وفِّق الإنسان لأن يزهد فيما عند الناس، وأن يرضى بما أعطاه الله، يتحقق له -مع إقامة أركان الدين- رضا ربه جَلَّ وَعَلَا، ورضا العباد

---

(١) أخرجه ابن ماجه (٤١٠٢)، والطبراني في الكبير (٥٩٧٢)، وأبو نعيم في الحلية (٣/٢٥٣)، والبيهقي في شعب الإيمان (٧/٣٤٤).

عنه، إنما ذلك يحتاج إلى مجاهدة النفس وترويضها؛ أخذًا بقول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ، وَمَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ**»[١]، الحرص لا يأتي بشيء، والتوكل على الله مع الزهد فيما عند الناس لا يُفَوِّت شيئًا.

---

(١) الحديث التاسع عشر من الأربعين النووية، تقدم تخريجه (ص٧٧).

الحديث الثاني والثلاثون

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ سَعْدِ بْنِ مَالِكِ بْنِ سِنَانٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَا ضَرَرَ وَلَا ضِرَارَ». حَدِيثٌ حَسَنٌ، رَوَاهُ ابْنُ مَاجَهْ، وَالدَّارَقُطْنِي، وَغَيْرُهُمَا مُسْنَدًا. وَرَوَاهُ مَالِكٌ فِي "الْمُوَطَّإِ" عَنْ عَمْرِو بْنِ يَحْيَى عَنْ أَبِيهِ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُرْسَلًا، فَأَسْقَطَ أَبَا سَعِيدٍ، وَلَهُ طُرُقٌ يُقَوِّي بَعْضُهَا بَعْضًا[1].

الشرح

هذا الحديث من أهم الأحاديث التي اعتمدها الفقهاء في قواعد الفقه، والنهي عن المضارة، فالمضارة محرمة؛ لا يجوز لمسم أن يضار مسلمًا، وقد قعَّد الفقهاء على هذا الحديث قولهم: "الضرار يُزال"، و"الضرر مدفوع"[2].

فقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **(لَا ضَرَرَ وَلَا ضِرَارَ)**، يعني: أنه لا يجوز للإنسان أن يضر أحدًا، ولا يجوز للمسلمين أن يتبادلوا المضارة المفاعلة، بل المطلوب منهم أن يتعاونوا على البر والتقوى، ويتناهوا عن الإثم

---

(١) أخرجه من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: الدارقطني (٣/ ٧٧)، والحاكم (٢/ ٦٦)، والبيهقي في الكبرى (٦/ ٦٩).
وأخرجه ابن ماجه (٢٣٤١)، وأحمد (١/ ٣١٣)، وأبو يعلى (٤/ ٣٩٧)، والطبراني في الكبير (١١٨٠٦) من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.
وأخرجه مالك في الموطإ مرسلاً (٢/ ٧٤٥).

(٢) يُنظر: أصول السرخسي (٢/ ٥١)، والأشباه والنظائر لابن السبكي (١/ ٤١).

والعدوان.

فلا يحل للمسلم أن يستعمل حقَّه في ماله بالقدر الضَّار الضَّرر البيِّن بإخوانه؛ في البناء، وأبواب المنزل، وغير ذلك مما يتحقق به الضرر المقصود، بل حتى ولو لم يكن مقصودًا، إذا عمل الإنسان هذا العمل ولم يرد مضارة الجماعة، ولكنه يضرهم، فرفع الضرر من القواعد الفقهية الهامة، وهذا يدل على كمال هذا الدين في ترتيب المصالح وتكثيرها، وبيان المفاسد والحث على تقليلها واجتنابها، والموفَّق مَنْ وفَّقه الله جَلَّ وَعَلَا، قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق: ٢، ٣].

الحديث الثالث والثلاثون

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَوْ يُعْطَى النَّاسُ بِدَعْوَاهُمْ؛ لَادَّعَى رِجَالٌ أَمْوَالَ قَوْمٍ وَدِمَاءَهُمْ، لَكِنَّ الْبَيِّنَةَ عَلَى الْمُدَّعِي، وَالْيَمِينَ عَلَى مَنْ أَنْكَرَ». حَدِيثٌ حَسَنٌ، رَوَاهُ الْبَيْهَقِي وَغَيْرُهُ هَكَذَا، وَبَعْضُهُ فِي "الصَّحِيحَيْنِ"[1].

الشرح

هذا الحديث أصله في "الصحيحين"، وجاء فيه: «**لَوْ يُعْطَى النَّاسُ بِدَعْوَاهُمْ؛ لَادَّعَى نَاسٌ دِمَاءَ رِجَالٍ وَأَمْوَالَهُمْ، وَلَكِنَّ الْيَمِينَ على الْمُدَّعَى عليه**»[2]، وليس فيه: «**وَاليَمِينُ عَلَى مَنْ أَنْكَرَ**».

قوله: (**لَوْ يُعْطَى النَّاسُ بِدَعْوَاهُمْ؛ لَادَّعَى رِجَالٌ أَمْوَالَ قَوْمٍ وَدِمَاءَهُمْ**)، ولكن الدعوى وحدها لا تكفي، لابد من البينة، والبينة هي: ما يبين الحق ويوضحه، بحيث يتبين لمن هذا الحق، ومن الذي عليه أن يؤديه، أما مجرد الدعوى فلا تكفي لإثبات مطلب. وهذا من الأشياء التي كان العرب -حتى في الجاهلية- يأخذون بها؛ إقامة بيناتهم أو الأيمان عند فقد البينة، فجاء التشريع السماوي بأكرم ما يكون من ذلك.

قوله: (**البَيِّنَةُ عَلَى المُدَّعِي**)، أي: المدعي هو الذي عليه أن يتحمل تحقيق بينته وإحضارها عند القاضي أو من يُدعى عليه الحق؛ لأن بعض

---

(١) أخرجه البيهقي (١٠/ ٢٥٢).

(٢) أخرجه البخاري (٤٥٥٢)، ومسلم (١٧١١) من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

الناس يكفيه أن يرى أنه ثبت الحق عليه ليبذله، وبعضهم لا يبذله إلا عن طريق سلطان.

والحديث الذي في غير "الصحيحين": **(البَيِّنَةُ عَلَى المُدَّعِي، وَاليَمِينُ عَلَى مَنْ أَنْكَرَ)**، وهذا المعنى يؤخذ من الأحاديث الأخرى، ففي حديث وَائِلِ بن حُجْرٍ الْحَضْرَمِيِّ عن أبيه قال: جاء رَجُلٌ من حَضْرَمَوْتَ وَرَجُلٌ من كِنْدَةَ إلى رسول اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقال الْحَضْرَمِيُّ: يا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ هَذَا غَلَبَنِي عَلَى أَرْضٍ كَانَتْ لِأَبِي. فَقَالَ الْكِنْدِيُّ: هِيَ أَرْضِي في يَدِي أَزْرَعُهَا، لَيْسَ لَهُ فِيهَا حَقٌّ. فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِلْحَضْرَمِيِّ: **«أَلَكَ بَيِّنَةٌ؟»**، قال: لَا، قال: **«فَلَكَ يَمِينُهُ»**، قال: يا رَسُولَ اللهِ، إِنَّهُ فَاجِرٌ لَا يُبَالِي ما حَلَفَ عَلَيْهِ، لَيْسَ يَتَوَرَّعُ من شَيْءٍ، فقال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«لَيْسَ لَكَ مِنْهُ إِلَّا ذَاكَ»**[1].

---

(١) أخرجه أبو داود (٣٢٤٥).

الحديث الرابع والثلاثون

عَــنْ أَبِي سَــعِيدٍ الخُــدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَــالَ: سَــمِعْتُ رَسُــولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ؛ فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ؛ فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الإِيمَانِ». رواه مسلم[(١)].

الشــرح

هذا حديث عظيم يشتمل على أصول الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لا يُعذر أحد بترك الأمر بالمعروف، ولكنه يسلك ما يستطيعه.

أبو سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لـمَّا قام مروان بن الحكم والي المدينة وخطب الناس يوم العيد قبل صلاة العيد، فقام إليه رجل، فقال: «الصَّلاةُ قبل الخُطْبَةِ»، فقال مروان: «قد تُرِكَ ما هنالك»، أي: أنه رأى أو بُلِّغ من الوالي العام في دمشق أن يخطب قبل صلاة العيد؛ لأن صلاة العيد أشد لزومًا من الخطبة، فقال أبو سعيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَمَّا هذا -أي: الذي أنكر المنكر- فَقَدْ قَضَى ما عليه، سمعتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: **(مَنْ رَأَى مِنكُمْ مُنكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ؛ فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ؛ فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الإِيمَانِ)**.

وقد كان ولاة بني أمية يُدْخِلون في خطبهم في الأعياد وغيرها جوانب من الاستياء والتنديد لمن يعارض ولاية الخلفاء الأمويين،

---

(١) أخرجه مسلم (٤٩).

ويندون بما كان من علي -رضي الله عنه وأرضاه- وهو الذي على الحق، وإن كان خلاف الصحابة ينبغي أن لا يُثار فيه، ولكن هذا الحديث أعطى بيان درجات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فالناس تختلف قدراتهم، والمنكر لا ينحصر في موقع، فما كان من منكر في الشارع أو المسجد أو المنزل، أو في أي ملتقى من الملتقيات، على مَنْ قَدَر أن يغير من المنكر بيده دون أن يتعرض لما لا يتحمله، أو دون أن يسبب تغييره باليد منكرًا أشد نكارة مما غَيَّر كان عليه أن يغيره، فإن ترتب على تغيير المنكر منكر مساوٍ أو أغلظ، وجب الكف؛ لأن درء المفاسد مقدم على جلب المصالح، فإن كان المنكر الذي يترتب على التغيير باليد أقلَّ أثرًا وضررًا من المنكر الذي يُراد تغييره؛ غُيِّر المنكر.

فإذا كان التغيير باليد خُصَّت به جهة معينة، فإن التغيير باللسان إن استخدم المُغَيِّر الحكمة والموعظة الحسنة والرِّفق فقَلَّ أن يمنع ذلك؛ لأن الرفق يزين الأعمال ويجملها، ويسهل قبولها، ويخفف من معارضتها؛ ولذلك أمر الله عبده وخليله محمدًا صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالرفق، فقال تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [النحل:١٢٥]، وقال عَزَّ وَجَلَّ: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِي﴾ [يوسف:١٠٨]، ويقول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«إِنَّ الرِّفْقَ لَا يَكُونُ فِي شَيْءٍ إِلَّا زَانَهُ، وَلَا يُنْزَعُ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا شَانَهُ»**(١)، ويقول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: **«إِنَّ اللهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرِّفْقَ، وَيُعْطِي عَلَى**

---

(١) أخرجه مسلم (٢٥٩٤) من حديث عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا.

الرِّفْقِ مَا لَا يُعْطِي عَلَى الْعُنْفِ، وَمَا لَا يُعْطِي عَلَى مَا سِوَاهُ»[١]، فإذا استعمل الإنسان لسانه برفق وإحسان نفع بإذن الله.

أما إذا كممت الأفواه، وعقدت الألسن، وعوقب من يأمر بخير أو ينهى عن شر، فإن هناك تغييرًا للمنكر لا يطلع عليه أحد سوى الخبير العليم، فليغير بقلبه، وهذا التغيير لا يُعذر أحد بتركه، لا يعذر خاصٌّ أو عامٌّ إذا تركه؛ لأن التغيير بالقلب: أن يبغض الإنسان هذا المنكر، وأن يكره الفعل الذي تأذى به، ويكره مرتكب المنكر بقدر ما ارتكب؛ لأن الإنسان قد يرتكب منكرًا وتكون له جوانب خير يأمر فيها بالمعروف، فيكره بقدر ما عنده من منكر، ويحب بقدر ما عنده من خير.

هذا الحديث من أعظم ما ينبغي أن يهتم بمعرفته ويهتم بالعمل به من أراد أن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، ولا شك أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر له شأن عظيم في الإسلام.

والمعروف هو: ما يعرفه ذَوو الفِطَر السليمة، والمناهج المستقيمة.

والمنكر هو: ما تنكره العقول الراشدة، ويُسْتحى من حصوله.

وبلادنا المملكة -والحمد لله- قد تميزت في العالم الإسلامي بأنها آخذة بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في جميع عصور الدولة السعودية، ولكن الأمر تارة يقوى، ويتصف القائمون به بالحزم والعناية التامة وشد الأزر، وتارة يحصل ما يحصل من ضعف، وقد قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّ لِهَذَا الدِّينِ إِقْبَالًا وَإِدْبَارًا، أَلَا وَإِنَّ مِنْ إِقْبَالِ هَذَا الدِّينِ**

---

(١) أخرجه مسلم (٢٥٩٣) من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

أَنْ تَفْقَهَ الْقَبِيلَةُ بِأَسْرِهَا»، وليس معناه أنهم يصبحون علماء في الفقه، وإنما تكون فاهمة للدين ومهتمة به، وإن تفاوتوا في ذلك، **«حَتَّى لَا يَبْقَى إِلَّا الْفَاسِقُ وَالْفَاسِقَانِ ذَلِيلانِ فِيهَا، إن تَكَلَّمَا قُهِرا وَاضْطُهِدَا، وَإِنَّ مِنْ إِدْبَارِ هَذَا الدِّينِ أَنْ تَجْفُوَ الْقَبِيلَةُ بِأَسْرِهَا، فَلا يَبْقَى إِلَّا الْفَقِيهُ وَالْفَقِيهَانِ، فَهُمَا ذَلِيلانِ، إِنْ تَكَلَّمَا قُهِرَا وَاضْطُهِدَا»**[1]، فيكون المؤمنان مغمورَيْن، ولكن الأصول -ولله الحمد- باقية، والإنسان يمرض ويشفى، والخير -ولله الحمد- قد بقي الشيء الكثير، وهم محتاجون أيضًا للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حاجة ملحة؛ للاستلطاف، والرفق، والأناة، والتيسير بما يحقق استمرار الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ويقلل -بإذن الله تعالى- تفشي المنكرات.

والناس كلما اتَّسعت دوائر التنعم، وشعروا بشيء من الغنى، خرج كثير منهم عن الطريق السوي، وقد قال الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَيَطۡغَىٰٓ ۝٦ أَن رَّءَاهُ ٱسۡتَغۡنَىٰٓ﴾ [العلق:٦، ٧]، فنسأل الله العفو والعافية.

---

(١) أخرجه الطبراني في الكبير (٧٨٠٧) من حديث أبي أمامة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

الحديث الخامس والثلاثون

عَــنْ أَبِي هُرَيْــرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَــالَ: قَــالَ رَسُــولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا تَحَاسَــدُوا، وَلَا تَنَاجَــشُوا، وَلَا تَبَاغَــضُوا، وَلَا تَــدَابَرُوا، وَلَا يَبِــعْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَيْعِ بَعْضٍ، وَكُونُوا عِبَادَ اللهِ إِخْوَانًا، الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ، لَا يَظْلِمُهُ، وَلَا يَخْذُلُهُ، وَلَا يَكْذِبُهُ، وَلَا يَحْقِرُهُ، التَّقْــوَى هَاهُنَــا»، وَيُشِيرُ إِلَى صَدْرِهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، «بِحَسْبِ امْرِئٍ مِنْ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَــاهُ الْمُــسْلِمَ، كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ: دَمُهُ وَمَالُهُ وَعِرْضُهُ». رواه مسلم[(١)].

الشــرح

هذا الحديث العظيم الهام البيِّن، المشتمل على هذه الإرشادات، ينبغي للمسلم أن يتخلق بها يدعو النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيه إلى الخير ويحذر من الشر.

المسلمون إخوة، ومن لازم الأخوَّة أن يترتب معها التعاون على البر والتقوى، والتآلف، وأن لا يزجر أحد أحدًا، وأن لا يبغي أحد على أحد، وأن لا يظلم أحد أحدًا.

قولـه: **(لَا تَحَاسَـدُوا)**، مـن شـأن الإخـوة أن لا يتحاسـدوا، والحسد المقيت هو أن يتمنى الإنسان زوال نعمة أخيه؛ إما يتمنى زوالها وأن ينال مثلها أو أفضل، أو إذا لم يحصل له شيء فتزول هذه النعمة.

---

(١) برقم (٢٥٦٤).

وأما الحسد الممدوح فهو الإعجاب بما عليه المسلم من مال وعمل بالمال فيما يرضي الله، فيغبطه، ويتمنى أن يساويه ليعمل مثل عمله في القُرَب، وهذا مما بَيَّن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جوازه، فقال: **«لَا حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ: رَجُلٌ آتَاهُ اللهُ الْقُرْآنَ، فَهُوَ يَقُومُ بِهِ آناء اللَّيْلِ وَآنَاءَ النَّهَارِ، وَرَجُلٌ آتَاهُ اللهُ مَالًا، فَهُوَ يُنْفِقُهُ آنَاءَ اللَّيْلِ وَآنَاءَ النَّهَارِ»**[١].

وأما الحسد المذموم الذي هو نتاج الكراهية والحقد فهو الموروث عن إبليس، الذي حسد آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ على ما أكرمه الله به، فتكبر وأبى أن يسجد لما أمره الله.

قوله: **(وَلَا تَنَاجَشُوا)**، نهى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن التناجش، والتناجش إن كان في البيع فهو من الغش والخداع والإغرار، والنجش: أن يعمل الإنسان العمل الذي لا يحل له، وهو في البيع: أن يزيد في السلعة للإضرار بمن هو حريص على شرائها[٢].

قوله: **(وَلَا تَبَاغَضُوا)**، البغض: الكره والمقت[٣]، والمراد: لا تسعوا

---

(١) أخرجه مسلم (٨١٥) من حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

وأخرج البخاري (٧٣) من حديث ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«لَا حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ: رَجُلٌ آتَاهُ اللهُ مَالًا فَسُلِّطَ عَلَى هَلَكَتِهِ فِي الحَقِّ، وَرَجُلٌ آتَاهُ الله الْحِكْمَةَ فَهُوَ يَقْضِي بِهَا وَيُعَلِّمُهَا»**.

(٢) التناجش: تفاعل من النجش، والنجش في البيع هو: أن يمدح السلعة لِيُنفقها ويُروِّجها، أو يزيد في ثمنها وهو لا يريد شراءها؛ ليقع غيره فيها. يُنظر: النهاية في غريب الأثر (٥/ ٢٠)، ولسان العرب (٦/ ٣٥١) (نجش).

(٣) ينظر: لسان العرب (٧/ ١٢١) (بغض).

فيما فيه التباغض في أمر الدنيا، أما إذا كان لأمر شرعي وديني؛ فإن هذا مطلوب، كأن يبغض إنسانًا لبدعة فيه أو ما شابه ذلك، فهذا لا حرج فيه.

قوله: **(وَلَا تَدَابَرُوا)**، التدابر: أن يُعرض المسلم عن أخيه المسلم، يلتقيان فيعرض هذا ويعرض هذا، كأن كل واحد إذا رأى الثاني جعله خلف ظهره[١]، ومن شأن الإخوة التحابب.

قوله: **(كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ، دَمُهُ وَمَالُهُ وَعِرْضُهُ)**، فلا يحل لمسلم أن يتعرض لدم أخيه المسلم، وقد قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«لَا يَزَالَ الْمُؤْمِنُ فِي فُسْحَةٍ مِن دِينِهِ مَا لَمْ يُصِبْ دَمًا حَرَامًا»**[٢]، أي: ما لم يقتل بغير حق، وقد سبق حديث: **«لَا يَحِلُّ دَمُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ إِلَّا بِإِحْدَى ثَلَاثٍ: الثَّيِّبُ الزَّانِي، وَالنَّفْسُ بِالنَّفْسِ، وَالتَّارِكُ لِدِينِهِ الْمُفَارِقُ لِلْجَمَاعَةِ»**[٣]، والأحاديث يوضح بعضها بعضًا، ففي الحديث: **«أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ، وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ، فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّ الْإِسْلَامِ، وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللهِ»**[٤].

فالإنسان يكون معصومًا في الإسلام إلا إذا ارتكب ما يقتضي إباحة دمه؛ مِنْ زنا، أو قصاص، أو خروج عن جماعة المؤمنين بقطع طرقهم أو

---

(١) ينظر: لسان العرب (٤/ ٢٧٢) (دبر).

(٢) أخرجه البخاري (٦٨٦٢) من حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٣) الحديث الرابع عشر من الأربعين النووية، تقدم تخريجه (ص٦٢).

(٤) الحديث الثامن من الأربعين النووية، تقدم تخريجه (ص٥١).

إخافتهم، أو كان داعية بدعٍ لا ينكف شره إلا بالقتل، فيكون حكمه حكم الصائل؛ لأن الصائل المعتدي لو انكف بغير القتل ما قُتل، فإذا لم ينكف الصائل عن صيالته إلا بالقتل قُتل، وكذلك ناشر الفساد والـمُرَوِّج له، أو الساعي في إشاعة الزنا، وتسهيل الوصول إليه، ولا ينكف عن عمله السيئ المشين إلا بالقتل قُتل، فكل ما جاء في نصوص الشريعة الكف عنه فإن من لم ينكف إلا بقتله يُقتل.

هذا الحديث الذي اشتمل على هذه الإرشادات العظيمة والنصائح الجليلة من أهم ما ينبغي للمسلم أن يتعاهده، فإذا اتصف بخلق، فليضع هذا الحديث في كفة ميزانه، فما تبيَّن له أنه لا يتفق مع مقتضى ما دل عليه الحديث تركه، (**بِحَسْبِ امْرِئٍ مِنَ الشَّرِّ**)، يعني: يكفيه من الشر، أي أن هذا الشر الذي يكون فيه كفاية بعذابه وإذلاله.

ثم بيَّن صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن التقوى إنما هي في القلب الذي في الصدر، فقال: (**التَّقْوَى هَهُنَا**) وأشار إلى صدره ثلاث مرات، وهو يشير بذلك إلى أن يتعاهد المسلم قلبه بالعلاج، وعلاجه لا يحتاج إلى مجهود يبذل، وإنما يعالج القلب بتعظيم العبادات، والإكثار منها ومن القُرَب، وتعاهد ذكر الله في كل آنٍ؛ عند دخول المسجد والخروج منه[1]، في بدء الصلاة

---

(١) كما في حديث فاطمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: كان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا دخل المَسْجِدَ صلَّى على مُحَمَّدٍ وسلَّم، وقال: «**رَبِّ اغْفِرْ لِي ذُنُوبِي، وَافْتَحْ لِي أَبْوَابَ رَحْمَتِكَ**»، وإذا خَرَجَ صلَّى على مُحَمَّدٍ وسلَّم، وقال: «**رَبِّ اغْفِرْ لِي ذُنُوبِي، وَافْتَحْ لِي أَبْوَابَ فَضْلِكَ**». أخرجه الترمذي (٣١٤)، وابن ماجه (٧٧١)، وابن أبي شيبة (٦/ ٩٦).

والانتهاء منها، وفي دخول المنزل والخروج منه[١]، عند بدء الأكل والانتهاء منه[٢]، وإذا أخذ مضجعه في فراشه[٣]، وإذا أراد دخول محل قضاء الحاجة[٤]، حتى فيما يتعلق بعلاقة الرجل بزوجته يذكر الله؛ كما جاء في الحديث: «**لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا أَتَى أَهْلَهُ قَالَ: بِاسْمِ اللهِ، اللَّهُمَّ جَنِّبْنَا الشَّيْطَانَ وَجَنِّبِ الشَّيْطَانَ مَا رَزَقْتَنَا، فَقُضِيَ بَيْنَهُمَا وَلَدٌ؛ لَمْ يَضُرُّهُ**»[٥].

هذه الأذكار لها شأن عظيم في طهارة القلوب وشفاء أمراضها، وصد الأعداء الذين يتربصون بالإنسان في كل آن، والموفق من استعان بالله.

---

(١) كما في حديث أُمِّ سَلَمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان إذا خَرَجَ من بَيْتِهِ قال: «**بِسْمِ اللهِ، رَبِّ أَعُوذُ بِكَ من أَنْ أَزِلَّ او أَضِلَّ، او أَظْلِمَ او أُظْلَمَ، او أَجْهَلَ او يُجْهَلَ عَلَيَّ**». أخرجه أبو داود (٥٠٩٤)، والنسائي (٥٤٨٦)، وأحمد (٦/ ٣٢١).

(٢) كما في حديث مُعَاذِ بن أَنَسٍ الجهني رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**من أَكَلَ طَعَامًا، ثُمَّ قال: الْحَمْدُ للهِ الذي أَطْعَمَنِي هذا الطَّعَامَ وَرَزَقَنِيهِ من غَيْرِ حَوْلٍ مِنِّي ولا قُوَّةٍ؛ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ من ذَنْبِهِ**». أخرجه أبو داود (٤٠٢٣)، والترمذي (٣٤٥٨)، وابن ماجه (٣٢٨٥)، وأحمد (٣/ ٤٣٩)، والدارمي في سننه (٢٦٩٠).

(٣) كما في حديث أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِذَا أَوَى أَحَدُكُمْ إِلى فِرَاشِهِ فَلْيَنْفُضْ فِرَاشَهُ بِدَاخِلَةِ إِزَارِهِ، فإنه لَا يَدْرِي ما خَلَفَهُ عَلَيْهِ، ثُمَّ يَقُولُ: بِاسْمِكَ ربي وَضَعْتُ جَنْبِي، وَبِكَ أَرْفَعُهُ، إن أَمْسَكْتَ نَفْسِي فَارْحَمْهَا، وَإِنْ أَرْسَلْتَهَا فَاحْفَظْهَا بِمَا تَحْفَظُ بِهِ عِبَادَكَ الصَّالِحِينَ**». أخرجه البخاري (٦٣٢٠)، ومسلم (٢٧١٤).

(٤) كما في حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا دَخَلَ الْخَلاءَ قال: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ من الْخُبُثِ وَالْخَبَائِثِ**». أخرجه البخاري (١٤٢)، ومسلم (٣٧٥).

(٥) أخرجه البخاري (١٤١)، ومسلم (١٤٣٤) من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

الحديث السادس والثلاثون

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنْيَا نَفَّسَ اللهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ يَسَّرَ اللهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِما سَتَرَهُ اللهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، واللهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ، وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ، وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللهِ يَتْلُونَ كِتَابَ اللهِ، وَيَتَدَارَسُونَهُ فِيمَا بَيْنَهُمْ؛ إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ، وَمَنْ أَبْطَأَ بِهِ عَمَلُهُ لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ». رواه مسلم بهذا اللفظ[1].

الشرح

هذا الحديث الجليل فيه الحث لكل مسلم أن يأخذ بالأسباب التي تخفف عنه مصائب الدنيا، ومصائب الآخرة.

قوله: **(مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنْيَا نَفَّسَ اللهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ)**، الكُربة: الغم الذي يأخذ بالنفس، وكذا الكرب، تقول: كربه الغم، أي: اشتد عليه[2].

(١) أخرجه مسلم (٢٦٩٩).

(٢) ينظر: لسان العرب (١/ ٧١١) (كرب).

ابن آدم يتعب من كُرَب الدنيا، ولكن كُرَب يوم القيامة لا يدانيها شيء، فمن نفَّس عن مؤمن يبتغي بذلك وجه الله نفَّس الله عنه من كُرَب الدنيا، ونفَّس الله عنه من كُرَب يوم القيامة، وخفَّفها عليه.

قوله: **(وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ يَسَّرَ اللهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ)**، أي: سهَّل الله له أموره في الدنيا والآخرة. وفي الحديث: «**تَلَقَّتْ الـمَلائِكَةُ رُوحَ رَجُلٍ مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ**»، فقد كان تاجرًا يداين الناس، «**قَالُوا: أَعَمِلْتَ مِنَ الخَيْرِ شَيْئًا؟ قَالَ: كُنْتُ آمُرُ فِتْيَانِي**»، أي: خدمه ومماليكه، «**أَنْ يُنْظِرُوا وَيَتَجَاوَزُوا عَنِ الـمُوسِرِ**»[١]، الموسر ييسرون عليه، وفي رواية: «**أُنْظِرُ الـمُوسِرَ، وَأَتَجَاوَزُ عَنْ الـمُعْسِرِ**»، أي: يعفون عنه، فقال الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: «**نَحْنُ أَحَقُّ بِذَلِكَ مِنْهُ، تَجَاوَزُوا عَنْهُ**»[٢]، فأدخله الله الجنة.

فالإنسان الذي يعمل بالإحسان يدركه، قال تعالى: ﴿هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ﴾ [الرحمن:٦٠]، وقال: ﴿إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ﴾ [الإسراء:٧]، وقال: ﴿وَمَا تُقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا﴾ [المزمل:٢٠].

قوله: **(وَمَنْ يَسَّرَ عَلَىَ مُعْسِرٍ)**، إذا كنت دائنًا لإنسان وتقاضيت حقَّك، ولكن علمت أن الأمر شاق عليه يرهقه التسديد أو يعجز، فتذكر أنك محتاج إلى تيسير الله لك في الدنيا، ومحتاج إلى التيسير الأعظم في الآخرة، فابذل الخير، فما تبذل من خير تجد ثوابه عند الله، وكذا من فرَّج

---

(١) أخرجه البخاري (٢٠٧٧)، ومسلم (١٥٦٠) من حديث حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرج هذه الزيادة مسلم (١٥٦١) من حديث أبي مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

عن مسلم كربة من كرب الدنيا، وما أعظم كرب الدنيا! فمن فرَّج عن مسلم كربة من كرب الدنيا فرَّج الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، وكرب يوم القيامة عظيمة الشدة، وفي ذلك الوقت لا عمل، وإنما هو جزاء وحساب، بينما العمل في الدنيا.

قوله: (**وَاللهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ**)، عاون أخاك في أمور الدنيا وفي أمور الدين؛ بإرشاده ونصحه، ومنعه عن الشر، فإن حجبه عنه نصرة له؛ كما قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الحديث الآخر: «**انْصُرْ أَخَاكَ ظَالِمًا أو مَظْلُومًا**»، قالوا: يا رَسُولَ اللهِ هذا نَنْصُرُهُ مَظْلُومًا، فَكَيْفَ نَنْصُرُهُ ظَالِمًا؟! قال: «**تَأْخُذُ فَوْقَ يَدَيْهِ**»[1]، فمِنَ الإحسان على الناس منعهم عن ارتكاب المنكرات، وهذا من عونهم.

قوله: (**وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا، سَهَّلَ اللهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ**)، هذا فيه الحثُّ والترغيب على سلوك طريق العلم، فأي طريق من طرق العلم سلكته فإنَّ الله جَلَّ وَعَلَا يسهِّل لك به طريقًا إلى الجنة، بشرط إخلاصك في طلب العلم.

قوله: (**وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللهِ...**)، ثم بيَّن في الحديث أن الاجتماع لاستماع كلام الله عَزَّ وَجَلَّ وتدارسه من أسباب تنزل السكينة، وغشيان الناس الرحمة، وأن تحفهم الملائكة، ويذكرهم الله فيمن عنده، وإذا ذكر الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى عبدًا من عباده بالخير، فهذا هو الفلاح والسعادة،

---

(١) أخرجه البخاري (٢٤٤٤) من حديث أنس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، ومسلم بنحوه (٢٥٨٤) من حديث جابر بن عبد الله رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا.

فنسأل الله السميع العليم أن لا يحرمنا هذا الفضل العظيم.

قوله: **(وَمَنْ أَبطأَ بِهِ عَمَلُهُ، لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ)**، أي: أن الإنسان لا يرفعه مكانته الدنيوية، ولا انتسابه لأجداد وآباء لهم نفوذ في هذه الدنيا، وقد قال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«النَّاسُ بَنُو آدَمَ، وَآدَمُ من تُرَابٍ»**[1]، وقال الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ [الحجرات:١٣]، فالفضل إنما هو بالتقوى، فمن كان أتقى لله، وأشد خوفًا منه، وأرغب فيما عنده، وأطوع لأوامره، وأشد ابتعادًا عن نواهيه؛ كانت له المنزلة، نسأل الله بأسمائه وصفاته أن يصلح حالنا وحال جميع المسلمين في كل مكان، إنه مجيب الدعاء.

---

(١) أخرجه أبو داود (٥١١٦)، والترمذي واللفظ له (٣٩٥٦)، وأحمد (٢/ ٣٦١) من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

الحديث السابع والثلاثون

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيمَا يَرْوِيهِ عَنْ رَبِّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى قَالَ: «إِنَّ اللهَ كَتَبَ الْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ، ثُمَّ بَيَّنَ ذَلِكَ، فَمَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كَتَبَهَا اللهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً، وَإِنْ هَمَّ بِهَا فَعَمِلَهَا كَتَبَهَا اللهُ عِنْدَهُ عَشْرَ حَسَنَاتٍ إِلَى سَبْعِمِائَةِ ضِعْفٍ إِلَى أَضْعَافٍ كَثِيرَةٍ، وَإِنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كَتَبَهَا اللهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً، وَإِنْ هَمَّ بِهَا فَعَمِلَهَا كَتَبَهَا اللهُ سَيِّئَةً وَاحِدَةً». رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ، وَمُسْلِمٌ، في صحيحيهما بهذه الحروف[١].

الشرح

هذا الحديث في بيان أن أعمال العباد محصورة، وأن الإنسان المسلم إذا همَّ بالعمل الصالح ولكن عاقه عائق عن العمل؛ كُتب له من الأجر كأنه عمل ذلك العمل.

قوله: **(وَإِنْ هَمَّ بِهَا فَعَمِلَهَا كَتَبَهَا اللهُ عِنْدَهُ عَشْرَ حَسَنَاتٍ إِلَى سَبْعِمِائَةِ ضِعْفٍ إِلَى أَضْعَافٍ كَثِيرَةٍ)**، هذا الاختلاف بين الناس في الحسنات مرده إلى الإيمان، فإن من كان إيمانه أقوى، ورغبته في أداء العمل وارتياحه له أتم، كانت حسناته أوفر، وقد ورد في الأثر: «ما سبقكم أبو بكر بكثرة صلاة ولا صيام، ولكن بشيء وقر في صدره»[٢]؛ ولهذا جاء في الحديث أن

---

(١) أخرجه البخاري (٦٤٩١)، ومسلم (١٣١).

(٢) من كلام أبي بكر ابن عياش، ذكره الغزالي في إحياء علوم الدين (١/ ٢٣)، وابن تيمية في =

النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سأل أصحابه ذات يوم: «**أَيُّكُمْ رَأَى رُؤْيَا؟**»، فقال رَجُلٌ: «أنا يا رَسُولَ اللهِ، رَأَيْتُ كَأَنَّ مِيزَانًا دُلِّيَ مِنَ السَّمَاءِ، فَوُزِنْتَ أَنْتَ بِأَبِي بَكْرٍ فَرَجَحْتَ بِأَبِي بَكْرٍ، ثُمَّ وُزِنَ أبو بَكْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بِعُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، فَرَجَحَ أبو بَكْرٍ بِعُمَرَ، ثُمَّ وُزِنَ عُمَرُ بِعُثْمَانَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، فَرَجَحَ عُمَرُ بِعُثْمَانَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ»(١).

فقوة الإيمان لها أثرها في زكاء الأرواح وزيادتها، فمن عمل الحسنة كتب له أجرها، فإن لم يعملها وكان يريد عملها ولكن لم يتيسر له، تُكتب له حسنة تامة، أما إن عمل السيئة فالسيئات لا تُضاعف، قال تعالى: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا﴾ [الأنعام: ١٦٠]، فإن عمل السيئة كُتِبت سيئة واحدة، أمَّا في الحسنة قال: (**فَمَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كَتَبَهَا اللهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً**)، وهذا كرم من الله وإحسان، وأمَّا السيئة فقال: (**وَإِنْ هَمَّ بِهَا فَعَمِلَهَا كَتَبَهَا اللهُ سَيِّئَةً وَاحِدَةً**)؛ لأنها غير قابلة للزيادة.

❁ ❁ ❁

=

منهاج السنة النبوية (٦/ ٢٢٣)، وابن القيم في المنار المنيف (ص١١٥).

(١) أخرجه أحمد (٥/ ٤٤) من حديث أبي بكرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

الحديث الثامن والثلاثون

عَنْ أَبِي هُرَيْـرَة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قَـالَ: قَـالَ رَسُـولُ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «إِنَّ اللهَ تَعَالَى قَالَ: مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَد آذَنْتُـهُ بِـالْحَرْبِ، وَمَـا تَقَـرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُهُ عَلَيْهِ، وَلَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَـمْعَهُ الَّذِي يَـسْمَعُ بِـهِ، وَبَـصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَـهُ الَّـتِي يَمْـشِي بِهَـا، وَلَـئِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنِ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ». رواه البخاري[1].

الشـرح

هـذا الحـديث رواه البخـاري وغـيره، وهـو مـا يُسمى بحـديث الـولي، تكلم بعض الحفاظ في هذا الحديث، وقال: لولا هيبة "الجامع الصحيح" لقلت فيه كـذا وكـذا. ومع ذلك فإن معانيه ظاهرة جلية؛ لأن من عـادى أحدًا من أولياء الله لأجل ولايته لله يكون أهلًا لأن يحاربه الله جَلَّوَعَلَا، ومن حاربه اللهُ فلا ناصر له.

أما من عـادى وليًّا من أولياء الله لأمور دنيوية، ولا تعلُّق للعداوة بأمر الدين؛ فهذا كتعادي الإخوان والأقارب على أمور الدنيا، إنما العداوة التي يُمقت صاحبها ويتعرض لعذاب الله وعقابه هي أن يُعادي الإنسان غيره؛ لأنه قائم بطاعة الله، متمسك بدينه، فيبغضه لأجل ما هو فيه من

(١) أخرجه البخاري (٦٥٠٢).

أمور دينه، هذا من أعداء أولياء الله؛ لولايتهم لله.

قوله: (**فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالحَرْبِ**)، ومن آذنه الله - بالحرب فهو مهزوم مغلوب.

قوله: (**وَمَا تقرَّبَ إليَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افترَضْتُهُ عَلَيْهِ**)، في هذا الحديث بيان أن أهم الأمور وألزمها في أمور العبادات أن يتقرب الناس لربهم جَلَّ وَعَلَا بأداء الفرائض التي افترضها عليهم، فإنه لا يحاسبهم على النوافل، وإنما يحاسبهم على أداء الفرائض؛ ففي الحديث: «**إِنَّ اللهَ تَعَالَى فَرَضَ فَرَائِضَ فَلا تُضَيِّعُوهَا**»(١)؛ ولهذا قال العلماء: إن الإنسان عليه أن لا يقدم عملًا قربة من القرب وعليه مثلها فرض من الفرائض، فمثلًا: الصيام: لا يصوم الست من شوال وعليه قضاء ما فاته من رمضان؛ لأنه لو مات ولم يصم الست من شوال ما عوقب، ولو مات ولم يتم صيام رمضان مع قدرته على إتمامه وانتفاء الموانع حوسب.

قوله: (**وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إليَّ بالنَّوافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ**)، إذا أحب الله جَلَّ وَعَلَا عبدًا حماه وحفظه وصانه عن كل شيء يضره، إلا ما كان سببًا من أسباب علو منزلته عند الله يوم القيامة، فإن الإنسان -ولو كان من أحباب الله جَلَّ وَعَلَا وأوليائه- يُصاب بالهم والمرض والحزن، وهذه أمور يريد الله بها رفعة عبده؛ ولهذا لما سُئل النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَنْ أَشَدُّ النَّاسِ بَلاءً؟ قَالَ: «**الأَنْبِيَاءُ ثُمَّ الأَمْثَلُ فَالأَمْثَلُ**»(٢).

---

(١) الحديث الثلاثون من الأربعين النووية، تقدم تخريجه (ص١٠٨)

(٢) أخرجه ابن حبان (٧/ ١٦٠)، والدارمي (٢/ ٤١٢)، من حديث سعد بن أبي وقاص =

يقول: (فإذا أحببْتُهُ)، ما نتيجة تقرب العبد لله بالنوافل؟ أن يحبه الله، ومحبوب الله جَلَّوَعَلَا يُصان عن الإقدام على المحرمات والمحظورات، ويُصان أن يتعلق بالأمور الدنيوية بحيث يقدمها على أمور الدين والآخرة.

قوله: (كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ)، فلا يتلذذ باستماع حرام؛ من لهو وطرب، أو غِيبة ونميمة، أو استهزاء بعباد الله، أو غير ذلك مما لا يكون مباحًا أو لا يكون قربة، بل إن استهلاك الوقت في المباحات من شأنه أن يضيق الأوقات على أداء الفرائض والمندوبات، (كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ) فلا يتلذذ باستماع شيء إلا إذا كان استماعه مما يحب الله جَلَّوَعَلَا من عبده أن يستمع إليه.

قوله: (وبَصرَه الذي يُبْصِر به)، فلا ينظر إلى ما لا يحل له النظر إليه، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَـٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾ [الإسراء:٣٦]، يعلم أن هذه نعم من الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ على عبده، إذا استغلها فيما يعود عليه بالأجر والثواب بورك له فيها؛ ولهذا كان أحد علماء السلف قد جاوز المائة سنة، وهو ممتع بقوته وعقله، فوثب يومًا وثبة شديدة، فعوتب في ذلك، فقال: «هذه جوارح حفظناها عن المعاصي في

=

رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، وأخرجه أحمد (٦/ ٣٦٩)، والنسائي في الكبرى (٤/ ٣٥٢)، والطبراني في الكبير (٦٢٦) من حديث أخت حذيفة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا، وجزم به البخاري معلقًا، فقال: «بَاب أَشَدُّ الناس بَلاءً الْأَنْبِيَاءُ ثُمَّ الأول فالأول».

الصغر، فحفظها الله علينا في الكبر»(١)، ولا يمنع ولا يضاد هذا ما يُقال: إن بعض أهل العلم يعتريه الاختلاط في آخر عمره، ولكنه يُحفظ من الوقوع تحت وطأة المحرمات، **(وبَصرَه الذي يُبْصِر به)** فلا تطيش نظراته إلى ما لا يليق، بل يظهر عليه أثر الولاية، قال الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمۡشُونَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ هَوۡنٗا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلۡجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمٗا﴾ [الفرقان:٦٣]، يظهر عليه أثر الخشوع والورع والتقى؛ لحفظ الله جَلَّ وَعَلَا له.

ثم قال: **(وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا)**، فلا تمتد إلا لما يحل الامتداد إليه، لا إلى مكاسب ولا إلى غير ذلك، فلا تمتد إلى ما يكره الله امتدادها إليه.

قوله: **(وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا)**، فتُحفظ، فلا تنطلق سائرة إلى مواطن الشُّبَه والشهوات، وإنما هي خطوات محكمة يطمح الإنسان أن تكون في كل أحوالها في ارتفاع درجة وحط خطيئة، وإذا وَفَّق اللهُ العبدَ لحفظ هذه الحواس والجوارح وتمت صيانتها -بإذن الله تعالى- جاءت لصاحبها بالمكاسب التي لا حد لها.

ثم قال: **(وَلَئِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنِ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ)**، وفي بعض الألفاظ له بقية فيها **«يَكْرَهُ الموْتَ، وَلَابُدَّ لَهُ مِنْهُ وَأَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ»**، هذا الحديث الذي سُمِّي بحديث الولي، قد أَلَّف بعض أهل العلم شرحًا له بخصوصه.

---

(١) حدث ذلك للقاضي أبي الطيب الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ، ذكره ابن الجوزي في صفة الصفوة (٢/٤٩٣)، وابن رجب في جامع العلوم والحكم (ص١٨٦).

فالإنسان الذي يكون من أولياء الله عليه أن يحاسب نفسه، وأن يصدها عن ما حرَّم الله، وأن يهتم بأداء فرائض الله، وأن يتخلق بالأخلاق الكريمة التي يحبها الله؛ في مظهره وزينته، ومخاطبته للآخرين، والرضا بما كتب الله له، وألا تطمح نفسه ونظراته إلى ما لم يحصل بيده، فقد يكون الله جَلَّ وَعَلَا حماه، فإن من عباد الله من لا يصلحه إلا أن يكون قليل ذات اليد، ومنهم على خلاف ذلك، والله له في خلقه وتدبيره شؤون! والموفَّق من اتقى الله في سرِّه وعلانيته.

الحديث التاسع والثلاثون

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللهَ تَجَاوَزَ لِي عَنْ أُمَّتِي الخَطَأَ وَالنِّسْيَانَ، وَمَا اسْتُكْرِهُوا عَلَيْهِ». حديث حسن، رواه ابن ماجه والبيهقي وغيرهما[١].

الشرح

هذا الحديث فيه بشارة للمؤمن، وبشارة لهذه الأمة، الله عَزَّ وَجَلَّ يعلم ما سيتعرض له عباده من إكراه؛ يُكرهون على ما لا يريدون، فمن واسع رحمته أن تجاوز لهم عن ما أكرهوا عليه، وعن ما سهوا ووقعوا فيه، ما لم يتعمدوا الإقدم على ما لا يحب الله جَلَّ وَعَلَا الإقدم عليه.

وفي معنى هذا الحديث ما اشتملت عليه أواخر سورة البقرة، فإنها لـمَّا نزلت: ﴿وَإِن تُبْدُواْ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ﴾ [البقرة:٢٨٤]، شَقَّ ذلك على الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، فَأَتَوْا رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثُمَّ بَرَكُوا عَلَى الرُّكَبِ، فَقَالُوا: أَيْ رَسُولَ اللهِ، كُلِّفْنَا مِنَ الْأَعْمَالِ مَا نُطِيقُ: الصَّلاةَ، وَالصِّيَامَ، وَالْجِهَادَ، وَالصَّدَقَةَ، وَقَدِ أُنْزِلَتْ عَلَيْكَ هَذِهِ الْآيَةُ، وَلَا نُطِيقُهَا، قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«أَتُرِيدُونَ أَنْ تَقُولُوا كَمَا قَالَ أَهْلُ الْكِتَابَيْنِ مِنْ قَبْلِكُمْ: سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا؟! بَلْ قُولُوا:**

---

(١) أخرجه ابن ماجه (٢٠٤٥)، وابن حبان في صحيحه (١٦/ ٢٠٢)، والطبراني في الكبير (١١٢٧٤)، والدارقطني في سننه (٤/ ١٧٠)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٢١٦)، والبيهقي في الكبرى (٧/ ٣٥٦).

سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ»، قَالُوا: سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ. فأنزل الله بعد ذلك: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ إلى قوله: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ﴾ [البقرة:٢٨٥، ٢٨٦][١].

وهذا الحديث من معانيه ما دلت عليه هذه الآية: أن الله جَلَّ وَعَلَا رفع عن هذه الأمة الخطأ؛ أن تعمل عملًا مخطئةً فيه لا تقصد الشر إنما زلَّ الإنسان بدون إرادة، فالإنسان ينسى صلاة من الصلوات، ينسى وهو صائم فيأكل، وفي مثل ذلك صرح المشرع صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بأن النسيان لا يفسد العبادة، وكما في الحديث الصحيح عن الصلاة: «**مَنْ نَسِيَ صَلاةً فَلْيُصَلِّ إذا ذَكَرَهَا، لَا كَفَّارَةَ لَهَا إِلَّا ذَلِكَ**»[٢]، وفي الرواية الأخرى: «**مَنْ نَسِيَ صَلاةً أَوْ نَامَ عَنْهَا فَكَفَّارَتُهَا أَنْ يُصَلِّيَهَا إذا ذَكَرَهَا**»[٣]، وفي الصيام: «**مَنْ نَسِيَ وَهُوَ صَائِمٌ فَأَكَلَ أَوْ شَرِبَ فَلْيُتِمَّ صَوْمَهُ، فَإِنَّمَا أَطْعَمَهُ اللهُ وَسَقَاهُ**»[٤].

فمِنْ لُطف الله بهذه الأمة أنه تجاوز عنها، وقد أعطاها الله جَلَّ وَعَلَا ما لم يُعطه أمَّة من الأمم، وفي حديث المصطفى صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أُعْطِيتُ خَمْسًا لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ مِنَ الأَنْبِيَاءِ قَبْلِي**»[٥]، فذكر أنه نُصِر بالرعب، وأُحِلَّت

---

(١) أخرجه مسلم (١٢٥) من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه البخاري (٥٩٧)، ومسلم (٦٨٤) من حديث أنس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(٣) أخرجه مسلم (٦٨٤) من حديث أنس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(٤) أخرجه البخاري (١٩٣٣)، ومسلم واللفظ له (١١٥٥) من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(٥) أخرجه البخاري واللفظ له (٣٣٥)، ومسلم (٥٢١) من حديث جابر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

له الغنائم، إلى آخر الحديث.

وقد يُحدِّث المرء نفسه بأمور دون أن يتكلم بها، فعفا الله له عن ذلك؛ لأن الإنسان قد يتلجلج في خاطره أمورٌ لو تكلم بها بلسانه لشعر بالفزع، فقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«إِنَّ اللهَ تجَاوَزَ عَنْ أُمَّتِي مَا حَدَّثَتْ بِهِ أَنْفُسَهَا، مَا لَمْ تعْمَلْ أو تَتكَلَّمْ»**(١). وسُئِل النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن مثل ذلك فقال قائلهم: إِنَّا نَجِدُ في أَنْفُسِنَا ما يَتَعَاظَمُ أَحَدُنَا أَنْ يَتكَلَّمَ بِهِ، قال: **«وَقَدْ وَجَدْتمُوهُ؟»**، قالوا: نعم، قال: **«ذَاكَ صَرِيحُ الْإِيمَانِ»**(٢)، وفي رواية: **«تِلْكَ محْضُ الْإِيمَانِ»**(٣).

أيُّ قولٍ للإنسان دار في خاطره مما ينافي الشرع كان أهون عليه سقوطه من السماء من أن يتكلم بذلك، وهذا من لطف الله بالعباد، ومن بيان هذا أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مات وما ترك خيرًا إلا بيَّنه ودلنا عليه، حتى تركنا على محجَّة بيضاء لا التباس فيها(٤).

---

(١) أخرجه البخاري (٥٢٦٩)، ومسلم (١٢٧) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه مسلم (١٣٢) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

(٣) أخرجه مسلم (١٣٣) من حديث ابن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

(٤) كما في حديث العرباض بن سارية رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«قد تَرَكْتُكُمْ على الْبَيْضَاءِ؛ لَيْلُهَا كَنَهارِهَا، لا يَزِيغُ عَنْهَا بَعْدِي إِلَّا هَالِكٌ»**. أخرجه أبوداود (٤٦٠٧)، والترمذي (٢٦٧٦)، وابن ماجه (٤٣)، وأحمد (٤/ ١٢٦).

الحديث الأربعون

عَـنِ ابْـنِ عُمَـرَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا قَـالَ: أَخَـذَ رَسُـولُ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ بِمَنْكَبَيَّ فَقَالَ: «كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ»، وَكَانَ ابْـنُ عُمَرَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا يَقُولُ: «إِذَا أَمْسَيْتَ فَلَا تَنْتَظِرِ الصَّبَاحَ، وَإِذَا أَصْبَحْتَ فَلَا تَنْتَظِرِ المَسَاءَ، وَخُذْ مِنْ صِحَّتِكَ لِمَرَضِكَ، وَمِـنْ حَيَاتِـكَ لِمَوْتِـكَ»، رواه البخاري[1].

الشـرح

قولـه صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: (كُـنْ فِي الـدُّنْيَا كَأَنَّـكَ غَرِيـبٌ أَوْ عَـابِرُ سَبِيلٍ)، الغريب وعابر السبيل لا يفكر إلا في حاجته في الوقت الذي يتوقع بقاءه فيه فقط، لا يفكر في تشييد القصور، ولا امتلاك الدثور، وإنما يتوقع النهوض من مبيته أو مقيله ليرحل، فإن عابر السبيل أو الغريب بين قوم لا يعرفونه لا يفكر في الاستقرار عندهم، والنَّاس في ذلك الزمن قلَّ أن يقيم غريب عند غير أهله وعشيرته.

فقوله: (كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ)، الدنيا الرحلة عنها بمنزلة الغد؛ كما في قول الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖ﴾ [الحشر:١٨]، كأن الرحلة من هذه الدنيا كلها لكل أحد وشيكة في الصباح لمن بات.

(١) أخرجه البخاري (٦٤١٦).

ويوضح ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا هذا المعنى بقوله: (**إِذَا أَمْسَيْتَ فَلا تَنْتَظِرِ الصَّبَاحَ**)، ومعنى هذا: ما لزمك في المساء وتعلم أنه لزمك لا تنتظر قضاءه في الصباح إذا كان بإمكانك أن تقضيه في المساء؛ لأنك لا تدري هل ستبقى إلى الصباح، أو أنك إذا أنت أصبحت ستصاحبك القدرة التي هي معك الآن؟! (**إِذَا أَمْسَيْتَ فَلا تَنْتَظِرِ الصَّبَاحَ، وَإِذَا أَصْبَحْتَ فَلا تَنْتَظِرِ الْمَسَاءَ**)؛ لأن المطالب والرغبات وتحصيل أسباب الأمن فُرَص، والعاقل لا تمر به فرصة يمكن أن يدرك فيها ما يحقق له أمنًا إلا ويغتنم الفرصة.

قال: (**وَخُذْ مِنْ صِحَّتِكَ لِمَرَضِكَ، وَمِنْ حَيَاتِكَ لِمَوْتِكَ، وَمِنْ غِنَاكَ لِفَقْرِكَ**)؛ لأن الإنسان يُسأل يوم القيامة؛ كما في قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لَا تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ يوم الْقِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ؛ عَنْ عُمُرِهِ فِيمَا أَفْنَاهُ، وَعَنْ عِلْمِهِ فِيمَ فَعَلَ، وَعَنْ مَالِهِ من أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفِيمَ أَنْفَقَهُ، وَعَنْ جِسْمِهِ فِيمَ أَبْلاهُ**»[1]، مسائل أربع كلٌّ يُناقش عليها. والإنسان إذا كبر سنه أو مرض أو سافر، وكانت له أعمال في حال الصحة والإقامة، وقد أعاقه السفر أو المرض عن كثير من هذه الأعمال، فإنه يُكتب له من الأجر مثل ما كان يؤدي في أيام إقامته وصحته وشبيبته[2]، وهذا من لطف الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بعباده، وجميل إحسانه وعظيم فضله .

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٤١٧)، والدارمي في سننه (٥٣٧)، وأبو يعلى (١٣/٤٢٨) من حديث أبي برزة الأسلمي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) كما في حديث أبي موسى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**إِذَا كَانَ الْعَبْدُ يَعْمَلُ عَمَلًا صَالِحًا، فَشَغَلَهُ عنه مَرَضٌ أَوْ سَفَرٌ؛ كُتِبَ لَهُ كَصَالِحِ مَا كَانَ يَعْمَلُ وَهُوَ صَحِيحٌ مُقِيمٌ**». أخرجه أبو داود (٣٠٩١)، والحاكم (١/ ٤٩١)، والطبراني في الأوسط (١/ ٨٢).

الحديث الحادي والأربعون

عَنْ أَبِي مُحَمَّدٍ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يَكُونَ هَوَاهُ تَبعًا لِمَا جِئْتُ بِهِ». حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ، رَوَيْنَاهُ فِي كِتَابِ "الْحُجَّةِ" بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ[1].

الشرح

هذا الحديث من الأحاديث التي تتعلق بكمال الإيمان، **(لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يَكُونَ هَوَاهُ تَبعًا لِمَا جِئْتُ بِهِ)**، أي: ميله يكون تبعًا للشريعة؛ لذته وارتياحه ومبعث سروره اتِّباع ما جاء به محمد صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، ولا يفكر في كون هذا الشيء مباحًا أو لا، وإنما يفكر: هل هذا الأمر رضا لله واتِّباع لهدي محمد صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ؟ ويتمنى أن يسير عليه.

فلا يؤمن أحدٌ حتى يكون هواه تبعًا لما جاء به النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، ومحبته ورغبته؛ يحب أن ينتصر الحق ولو كان عليه أو على قرابته أو أصدقائه، لا يهمه أن يكون الفائز بالحق فلانًا إذا كانت قضايا وخصومات، أو أن يكون مدرك هذا الخير وتحصيل هذا المال فلانًا، يهمه

---

(١) أخرجه ابن أبي عاصم في السنة (١/١٢)، والبيهقي في المدخل إلى السنن الكبرى (١/١٨٨)، والخطيب في تاريخ بغداد (٤/٣٦٨)، والبغوي في شرح السنة (١/٢١٢)، وذكره البخاري تعليقًا في قرة العينين برفع اليدين في الصلاة (ص٣٨).
قال البيهقي: «تفرد به نعيم بن حماد». يُنظر: تعليل الحافظ ابن رجب للحديث في جامع العلوم والحكم (ص٣٨٧، ٣٨٨).

أن يكون الأمر رضًا لله تَبَارَكَ وَتَعَالَى.

وفي ذلك صعوبة بالغة على كثير من الناس، لكن ينبغي أن يُعوِّد الإنسان نفسه أنه يُثاب على كثير من الأمور وإن لم يؤد عملًا لها، وإنما محبته لها تحقق له الثواب، فقد جاء رَجُلٌ إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: يا رَسُولَ الله، كَيْفَ تَقُولُ في رَجُلٍ أَحَبَّ قَوْمًا ولم يَلْحَقْ بِهِمْ؟ فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«الْمَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ»**[1]، وهو لم يعمل كعملهم؛ ولهذا يقول المسلم: أنا أحب الله، وأحب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأبا بكر وعمر. يعني: أنه يحب هؤلاء؛ لِمَا يرى من كمال عملهم.

---

(١) أخرجه البخاري (٦١٦٩)، ومسلم (٢٦٤٠) من حديث أبي مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

الحديث الثاني والأربعون

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «قَالَ اللهُ تَعَالَى: يَا ابْنَ آدَمَ! إِنَّكَ مَا دَعَوْتَنِي وَرَجَوْتَنِي غَفَرْتُ لَك عَلَى مَا كَانَ مِنْك وَلَا أُبَالِي، يَا ابْنَ آدَمَ! لَوْ بَلَغَتْ ذُنُوبُكَ عَنَانَ السَّمَاءِ ثُمَّ اسْتَغْفَرْتَنِي غَفَرْتُ لَك، يَا ابْنَ آدَمَ! إنَّك لَوْ أَتَيْتَنِي بِقُرَابِ الْأَرْضِ خَطَايَا ثُمَّ لَقِيتَنِي لَا تُشْرِكُ بِي شَيْئًا لَأَتَيْتُك بِقُرَابِهَا مَغْفِرَةً». رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ، وَقَالَ: حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ[1].

الشرح

هذا الحديث فيه بيان أثر التوحيد على مستقبل ابن آدم؛ لأن من مات موحدًا غير جاحد لفرائض الدين يعفو الله جَلَّ وَعَلَا عنه.

وفيه بيان أثر الاستغفار، فإن الاستغفار ذو شأن عظيم في حطِّ الخطايا وتكفيرها، بل حتى في أمورالدنيا وتحصيلها؛ كما مر في قصة دعاء نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ، ودعاء بعض الأنبياء، فالاستغفار يكفِّر الذنوب.

وفيه إعانة للعبد على تحصيل مطالب الدنيا المباحة، والله عَزَّ وَجَلَّ

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٥٤٠)، والطبراني في الأوسط (٤/٣١٥) من حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال أبو عيسى: «هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه»، وأخرجه من حديث أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أحمد في مسنده (٥/١٤٨)، والدارمي (٢٧٨٨)، والبزار (٩/٤٠٣)، والحاكم في المستدرك (٤/٢٦٩)، وقال: «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه»، ووافقه الذهبي.

يقول: **(يا ابْنَ آدَمَ! لَوْ بَلَغَتْ ذُنُوبُكَ عَنَانَ السَّمَاءِ)** أي: لو صارت ذنوب العبد تملأ الآفاق وبلغت السماء، والسماء: هو العلو؛ ولذلك يُسمى السحاب: العنان، **(ثُمّ اسْتَغْفَرْتَنِي غفَرْتُ لَك)**، ولا يبالي الله جَلَّوَعَلَا، فلا مكره له، إنما تمتنع مغفرته سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ على من مات مشركًا، قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء:٤٨]، وقال سبحانه: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُ﴾ [المائدة:٧٢].

من مات على الشرك الأكبر فلا أمل أن تتحقق له المغفرة، وقد نهى الله جَلَّوَعَلَا نبيه محمدًا صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ أن يستغفر لمن هَمَّ بالاستغفار لهم، قال تعالى: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسۡتَغۡفِرُواْ لِلۡمُشۡرِكِينَ وَلَوۡ كَانُوٓاْ أُوْلِي قُرۡبَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَحِيمِ﴾ [التوبة:١١٣]؛ ولهذا بعد نزول هذه الآية لم يستغفر النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ لأحد مات على الشرك.

قال: **(لَوْ أَتَيْتَنِي بِقُرَابِ الْأَرْضِ خَطَايَا ثُمَّ لَقِيتَنِي لَا تُشْرِكُ بِي شَيْئًا لَأَتَيْتُكَ بِقُرَابِهَا مَغْفِرَةً)**، الإنسان محتاج لأن يتفقد أموره وتصرفه وكلامه، لئلا تزل به القدم، وإن كان نشأ على التوحيد، وعاش في مجتمع لا أثر للشرك فيه، قلَّ أن يقع في الشرك، غير أنه لا يعلم، فإنَّ أكمل الناس إيمانًا محمدًا صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ كان يُكثر من هذا الدعاء: **«يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قلبي على دَيْنِكَ وَطَاعَتِكَ»**، ولـمّا قيل له: يا رسول الله! إنك تكثر أن تدعو بهذا، فهل تخشى؟ قال: **«وَمَا يُؤَمِّنُنِي! وَإِنَّمَا قُلُوبُ الْعِبَادِ بَيْنَ أُصْبُعَي**

الرَّحْمَنِ، إِنَّهُ إِذَا أَرَادَ أَنْ يُقَلِّبَ قَلْبَ عَبْدٍ قَلَّبَهُ»(١).

فالإنسان في حال حياته لا يركن إلى الطمع في العفو، بل يركن إلى جانب الخوف، وإذا كان في حال الاحتضار فليركن إلى عظيم الرجاء، فإن الإنسان إذا كان في حال الصحة والقوة والقدرة ينبغي أن يكون الخوف ماثلًا بين عينيه، وإذا كان في حال الهرم والعجز وانتظار داء الرحيل فليغلب عليه الرجاء من الكريم الأكرم.

---

(١) أخرجه أحمد (٦/ ٢٥٠)، وأبو يعلى (٨/ ١٢٨) من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

خاتمة مصنف الأربعين النووية

قال الإمام النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

فَهَذَا آخِرُ مَا قَصَدْتُهُ مِنْ بَيَانِ الأَحَادِيثِ الَّتِي جَمَعَتْ قَوَاعِدَ الإِسْلَامِ، وَتَضَمَّنَتْ مَا لَا يُحْصَى مِنْ أَنْوَاعِ العُلُومِ فِي الأُصُولِ وَالفُرُوعِ وَالآدَابِ وَسَائِرِ وُجُوهِ الأَحْكَامِ، وَللهِ الحَمْدُ أَوَّلًا وَآخِرًا، وَبَاطِنًا وَظَاهِرًا.

الشرح

لا شك أن هذا الكتاب -كتاب الأربعين النووية- كما أشرت في البداية فيما يبدو -والله أعلم- أن صاحبه ألَّفه على نية صالحة، وكان هذا الإمام -والله أعلم- مصحوبًا بالتوفيق والنية الصالحة، فكتابه «رياض الصالحين» كتاب عظيم مهم يستفيد منه كل مطالعٌ له، جمع من الحكم والخيرات التي لا حدود لها ما الله به عليم، وقلَّ أن تجد بيت أحدٍ من المسلمين ممن يُحسن القراءة واللغة العربية ويحب الخير إلا وفيه نسخة من هذا الكتاب.

ثم صار له القبول العجيب، فكتاب الأربعين مما يؤكد صدق نية المؤلف، وجمع هذه الأحاديث وتأليف هذا الكتاب على أساس نية صادقة في نفع العباد؛ ولذلك يكتسب الشيء الكثير من التَّرحُّم عليه حين قراءة هذه الأحاديث والاطلاع على كتابه ذاك، وهو رَحِمَهُ ٱللَّهُ يُعدُّ من محرري المذهب الشافعي.

قال الحافظ ابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تكملة الأربعين النووية:

الحديث الثالث والأربعون

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَلْحِقُوا الْفَرَائِضَ بِأَهْلِهَا، فَمَا بَقِيَ فَلِأَوْلَى رَجُلٍ ذَكَرٍ». خَرَّجَهُ البخاري ومسلم[1].

الشرح

هذا الحديث الهام عمدة في أحكام الفرائض، وأن أصحاب الفروض مقدمون على غيرهم، فهناك من الوارثين من لا يسقطه أحد: الأب والأم لا يسقطهما أحد، والزوجة لا يسقطها أحد، والبنون والبنات لا يسقطهم أحد، إلا الوصف، وهو إذا اتصف أحد منهم بما يمنع من الميراث؛ كما يقول الرحبي[2]:

وَيَمْنَعُ الشَّخْصَ مِنَ المِيرَاثِ   وَاحِدَةٌ مِنْ عِلَلٍ ثَلاثِ
رِقٌّ وَقَتْلٌ وَاخْتِلافُ دِينِ   فَافْهَمْ فَلَيْسَ الشَّكُّ كَاليَقِينِ

من خلا من هذه الأوصاف من هؤلاء وهم: الأبوان، والبنون، والبنات، والزوجات، أو الأزواج، هؤلاء لا يسقطهم إلا الوصف.

ولكن بعضهم إذا انفرد بالمال أخذه؛ كالأب، والابن.

(١) أخرجه البخاري (٦٧٣٧)، ومسلم (١٦١٥).

(٢) متن الرحبية (بغيه الباحث عن جمل الموارث) (ص٣).

وبعضهم لو انفرد لا يأخذ المال كله؛ كالزوجة، والزوج، والبنت، من انفرد من هؤلاء فله نصيب مفروض.

قوله: **(أَلْحِقُوا الْفَرَائِضَ بِأَهْلِهَا، فَمَا بَقِيَ فَلأَوْلَى رَجُلٍ ذَكَرٍ)**، يسقط في بعض الأحوال الإخوة مع فقد البنين والبنات، فالمسألة اختلف العلماء فيها، وحُملت على المسائل المشروطة، فمن العلماء من شرط من الورثة بين الإخوة الأشقاء والإخوة لأم، ومنهم من لم يشرط.

ولكن هذا الحديث عمدة في تقديم الفرائض ولو استغرقت الفروض التركة، وهناك مسائل خفيفة في بعض أمور الفرائض؛ كحال الجد مع الإخوة، وتنوع نصيبه، إلا أنه لا يُسقط الجد لأب سوى الأب فقط، وله عند بعض العلماء حالات؛ كما ذكر صاحب الرحبية في قوله(١):

وَأَبٌ وَحُكْمُهُ وَحُكْمُهُمْ سَيَأْتِي مُكْمَلُ البَيَانِ فِي الحَالَاتِ

هذا الحديث يعكِّر عليه ميراث الأخت إذا لم يكن للمتوفى إخوة ذكور ولا بنون، فإن الأخوات الشقيقات أو لأب معصبات؛ كما يقول الرحبي(٢):

وَالأَخَوَاتُ إِنْ تَكُنْ بَنَاتِ فَهُنَّ مَعَهُنَّ مُعَصِّبَاتِ

وما ورائهن لا تعصب النساء بمفردها، إلا ما قيل في تعصيب المعتقة، يقول الرحبي(٣):

---

(١) متن الرحبية (ص٦).

(٢) متن الرحبية (ص٨).

(٣) متن الرحبية (ص٨).

وَلَيْسَ فِي النِّسَاءِ طُرًّا عَصَبَهْ ... إِلَّا الَّتِي مَنَّتْ بِعِتْقِ الرَّقَبَهْ

هذا مجمل ما يتعلق بإلحاق المواريث بأهل الفروض، وإذا بقي فلأقرب العصبة، فإذا كان لإنسان مال وأخذ أهل الفروض فروضهم، ولم يبق سوى ابن عم في السادس أو الخامس أو أقصى من ذلك هو أقرب الناس من جهة الأب الميت، فيأخذ ما فضل عن ذوي الفروض.

الحديث الرابع والأربعون

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «الرَّضَاعَةُ تُحَرِّمُ مَا تُحَرِّمُ الْوِلَادَةُ»، خَرَّجَهُ البخاري ومسلم[١].

الشرح

هذا الحديث حديث هام فيما يتعلق بالـمُحَرَّمات، وقد سُئِلتُ عن الجمع بين الأخت من الرضاعة مع أختها، وأشرت إلى من يقول: إن علم التحريم خاص بالأنساب، وأما المصاهرات فلا يدخلها.

والصحيح: أن هذا التحريم يشمل ما كان بالمصاهرة، وما كان تحريمه بأصل النسب، فلا تُجمع البنت مع عمتها ولا مع خالتها من الرضاعة.

كما أن من المسائل التي بها خلاف: زوجة الرضيع الذي رضع من امرأة زوجته، يكون صاحب اللبن زوج المرضعة محرمًا لزوج ابنه. وهي من المسائل التي للناس فيها خلاف.

إلَّا أن الراجح: أن صاحب اللبن -وهو زوج المرضعة- يكون محرمًا لزوجة الراضع؛ لأنها زوجة ابنه من الرضاع، فكما أن أباه بالنسب يكون محرمًا لزوجته، فكذلك أبوه من الرضاع يكون محرمًا لها.

---

(١) أخرجه البخاري (٣١٠٥)، ومسلم (١٤٤٤).

الحديث الخامس والأربعون

عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ عَامَ الْفَتْحِ وَهُوَ بِمَكَّةَ: «إِنَّ اللهَ وَرَسُولَهُ حَرَّمَ بَيْعَ الخَمْرِ وَالمَيْتَةِ وَالْخِنْزِيرِ وَالْأَصْنَامِ»، فَقِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَرَأَيْتَ شُحُومَ المَيْتَةِ، فَإِنَّهَا يُطْلَى بِهَا السُّفُنُ، وَيُدْهَنُ بِهَا الجُلُودُ، وَيَسْتَصْبِحُ بِهَا النَّاسُ؟ فَقَالَ: «لَا؛ هُوَ حَرَامٌ»، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عِنْدَ ذَلِكَ: «قَاتَلَ اللهُ الْيَهُودَ، إِنَّ اللهَ لَمَّا حَرَّمَ شُحُومَهَا جَمَلُوهُ ثُمَّ بَاعُوهُ فَأَكَلُوا ثَمَنَهُ». خَرَّجَهُ البخاري ومسلم[1].

الشـرح

هذا الحديث فيما يتعلق بالـمُحَرَّمات، وأن الله جَلَّ وَعَلَا إذا حرَّم أكل شيء حرَّم أكل ثمنه، ولا يُستثنى من ذلك إلا ما كان من تحريم الشيء لأمر خارج عن ذلك الشيء؛ كتحريم لبس الحرير والحلي للرجال، وكتحريم أكل الحمر الأهلية، فلا تدخل في هذا الأمر، فتُباع ويؤكل ثمنها.

ثم بيَّن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن الاحتيال أمر محرم، وأن اليهود لـمَّا حرَّم الله عليهم الشحوم، **(جَمَلُوهَا)** أي: أذابوها، ثم باعوا الدهن الـمُذاب وأكلوا ثمنه، وفي بعض ألفاظ الحديث: **«وَإِنَّ اللهَ إِذَا حَرَّمَ أَكْلَ**

---

(١) أخرجه البخاري (٢٢٣٦)، ومسلم (١٥٨١).

شَيْءٍ حَرَّمَ ثَمَنَهُ»(١).

وكذلك ما يتعلق بالحيل؛ الاحتيال لتحليل الحرام لا يحل الحرام، وقد جاء في الحديث: «**لَا تَرْتَكِبُوا مَا ارْتَكَبَتِ الْيَهُود، فَتَسْتَحِلُّوا مَحَارِمَ اللهِ بِأَدْنَى الْحِيَلِ**»(٢). فإن اليهود لـمَّا حرَّم الله عليهم اصطياد الحيتان يوم السبت امتنعوا، ثم ابتلاهم الله جَلَّ وَعَلَا، فإذا كان يوم السبت جاءتهم الحيتان شرَّعًا على السواحل، ويوم لا يسبتون لا تأتيهم، ابتلاءً وامتحانًا من الله، فاحتالوا بحفر الحفر ونصب الشبك قبل يوم السبت؛ ليقع السمك في حبائلهم وشباكهم يوم السبت، ثم يأتون ليأخذوه يوم الأحد! ويقولون: لم نصطد يوم السبت، ولكننا أخذنا الصيد يوم الأحد!

ولام بعضهم بعضًا فلم ينتهوا، وقال بعضهم لبعض: ﴿لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا﴾، فقال لهم الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر: ﴿مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ﴾، أي: اعتذارًا عند الله، ﴿وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ [الأعراف:١٦٤].

ولكن لـمَّا لم ينفع المجرمين النصح، ولم يُقَدِّر الله لهم التقوى؛ عاقبهم الله جَلَّ وَعَلَا؛ كما قص في القرآن الكريم: ﴿فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦٓ أَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ وَأَخَذْنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ بِعَذَابٍۭ بَـِٔيسٍۭ بِمَا كَانُواْ

---

(١) أخرجه أحمد (١/٢٩٣)، وابن حبان (١١/٣١٢)، والطبراني في الكبير (١٢٨٨٧)، من حديث ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا.

(٢) أخرجه ابن بطة في إبطال الحيل (ص٤٧) من حديث أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ. وذكره ابن كثير في تفسيره (١/١٠٨) وساق إسناد ابن بطة، وقال عقبه: «وهذا إسناد جيد».

يَفۡسُقُونَ ﴿١٦٥﴾ فَلَمَّا عَتَوۡاْ عَن مَّا نُهُواْ عَنۡهُ قُلۡنَا لَهُمۡ كُونُواْ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ﴾ [الأعراف: ١٦٤، ١٦٥].

ولهذا لا يصح الاحتيال وتحويل الحرام لصيغة تجعله وكأنه تحول من نفسه حلالًا؛ كما أن التسمية لا تغير الحال.

الحديث السادس والأربعون

عَنْ سَعِيدِ بْنِ أَبِي بُرْدَةَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعَثَهُ إِلَى الْيَمَنِ، فَسَأَلَهُ عَنْ أَشْرِبَةٍ تُصْنَعُ بِهَا، فَقَالَ: «وَمَا هِيَ؟» قَالَ: الْبِتْعُ وَالْمِزْرُ، فَقِيلَ لِأَبِي بُرْدَةَ: مَا الْبِتْعُ؟ قَالَ: نَبِيذُ الْعَسَلِ، وَالْمِزْرُ: نَبِيذُ الشَّعِيرِ، فَقَالَ: «كُلُّ مُسْكِرٍ حَرَامٌ». خَرَّجَهُ البخاري[1].

الشرح

هذا الحديث يوضح أن الأسماء لا تغير حقائق الأشياء، وأن العبرة بالحقائق، فالخمر إنما حُرِّم لأنه يُسْكر؛ لأنه يخامر العقل؛ كأنه يغطي العقل بالخمار فلا يكون للعقل بصيرته.

ولما سُئل أبو موسى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن أشربة اليمن، فأخبر أنها **(الْبِتْعُ وَالْمِزْرُ)**، وأخبر أن المزر يُصنع من شيء حلال، وكذلك البتع من شيء حلال، ولكنه لَمَّا تحوَّل إلى صفة أخرى من الإسكار؛ صار بتحوله إلى تلك الصفة محرَّمًا، وكان لبعض الأشربة كُنَى يكنونها بها ويسمونها بها.

ومثال ذلك: بعض الأشربة المعاصرة التي قد يُنزع ما فيها من كحول إذا صح، فإذا كان الشيء لا يسكر كثيره أبدًا فلا يحرم كثيره ولا قليله، فإن أسكر منه الكثير فملء الكف منه حرام.

(١) أخرجه البخاري (٤٣٤٣).

وورد عن السائب بن يزيد أن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ خرج عليهم فقال: «إِنِّي وَجَدْتُ مِنْ فُلانٍ رِيحَ شَرَابٍ، فَزَعَمَ أَنَّهُ شَرِبَ الطِّلاءَ(١)، وَإِنِّي سَائِلٌ عَمَّا شَرِبَ، فَإِنْ كان يُسْكِرُ جَلَدْتُهُ»(٢). فالعبرة بما يكون له أثر من هذه الأشربة؛ ولذلك لـمَّا نهى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن الأنبذة في أوّل الأمر؛ نهاهم عن الانتباذ في المقير والنقير والدباء والحنتم(٣)، ثم قال في آخر الأمر: **«وَنَهَيْتُكُمْ عَنِ النَّبِيذِ إِلَّا فِي سِقَاءٍ، فَاشْرَبُوا فِي الْأَسْقِيَةِ كُلِّهَا، وَلَا تَشْرَبُوا مُسْكِرًا»**(٤)، فعلق التحريم بالوصف.

والدُّبَّاء: القرع الذي يُسمَّى اليقطين، واحدها دباءة، كانوا ينتبذون فيها، فتسرع الشدة في الشراب(٥).

والنَّقِير: أصل النخلة، ينقر وسطه، فيصبح خاويًا، ويحكم عليه الغطاء، ثم ينبذ فيه التمر ويلقى عليه الماء؛ ليصير نبيذًا مسكرًا(٦).

والـمُزَفَّت من الأوعية: هو الإناء الذي طُلي بالزفت، وهو نوع من

---

(١) الطلاء: ما طُبخ من عصير العنب حتى ذهب ثلثاه، وبعض العرب يسمي الخمر الطلاء؛ يريد بذلك تحسين اسمها. يُنظر: مختار الصحاح (طلو) (١/ ١٦٦).

(٢) أخرجه مالك في الموطإ (٢/ ٨٤٢)، والشافعي في الأم (٦/ ١٨٠)، والنسائي في الكبرى (٤/ ١٩٠).

(٣) أخرج مسلم (١٩٩٢) عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ «أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نهى عن الدُّبَّاءِ وَالمُزَفَّتِ أَنْ يُنْتَبَذَ فيه». وأخرج (١٩٩٣) عن أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَنَّهُ نَهَى عَنْ الْمُزَفَّتِ وَالْحَنْتَمِ وَالنَّقِيرِ»، قِيلَ لِأَبِي هُرَيْرَةَ: ما الْحَنْتَمُ؟ قال: الْجِرَارُ الْخُضْرُ.

(٤) أخرجه مسلم (٩٧٧) من حديث بريدة رضي الله عنه.

(٥) يُنظر: النهاية في غريب الأثر (٢/ ٩٦).

(٦) يُنظر: النهاية في غريب الأثر (٥/ ١٠٣).

القار، ثم انتبذ فيه[1]، فنهى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن النبذ في هذه الأوعية، ثم في آخر الأمر قال: «**وَنَهَيْتُكُمْ عن النَّبِيذِ إِلَّا في سِقَاءٍ، فَاشْرَبُوا في الْأَسْقِيَةِ كُلِّهَا، ولا تَشْرَبُوا مُسْكِرًا**»، فجعل الحكم الخاص في ذلك الإسكار.

اختلف العلماء في النبيذ؛ كما يقول ذلك الماجن[2]:

أَبَاحَ العِرَاقِيُّ النَّبِيذَ وَشُرْبَهُ ... وَقَالَ حَرامَانُ المَدَامَةِ وَالسُّكْرُ
وَقَالَ الحِجَازِيُّ الشَّرَابَانِ وَاحِدٌ ... فَحَلَّتْ لَنَا مِنْ بَيْنِ قَوْلَيْهِمَا الخَمْرُ

لأن أبا حنيفة رَحِمَهُ اللَّهُ قال: النبيذ مباح، وإنما الحرام الخمر.

والشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ قال: الشراب أنواع، منها: النبيذ والخمر. يعني: أن النبيذ والخمر شيء واحد[3].

فجمع بين القولين هذا الماجن، وقال: حلَّت لنا من بين قولي هذين الإمامين الخمر.

---

(١) يُنظر: النهاية في غريب الأثر (٢/ ٣٠٤).

(٢) البيتان لابن الرومي، ينظر: ديوانه (ص١٩٦١).

(٣) يُنظر: الأشربة وذكر اختلاف الناس فيها لابن قتيبة (ص١٢٥) وما بعدها.

وقال الطحاوي في مختصر اختلاف العلماء (٤/ ٣٧١): «قال بشر عن أبي يوسف: قال أبو حنيفة: الخمر حرام قليلها وكثيرها، والسكر حرام، وليس كتحريم الخمر، ونقيع الزبيب إذا غلى حرام، وليس كتحريم الخمر، والنبيذ المعتق المطبوخ لا بأس به من أي شيء كان، وإنما يحرم منه القدح الذي يسكر».

الحديث السابع والأربعون

عَنِ الْمِقْدَامِ بْنِ مَعْدِ يَكْرِبَ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «مَا مَلَأَ آدَمِيٌّ وِعَاءً شَرًّا مِنْ بَطْنٍ، بِحَسْبِ ابْنِ آدَمَ لُقَيْمَاتٌ يُقِمْنَ صُلْبَهُ، فَإِنْ كَانَ لَا مَحَالَةَ؛ فَثُلُثٌ لِطَعَامِهِ، وَثُلُثٌ لِشَرَابِهِ، وَثُلُثٌ لِنَفَسِهِ». رواه الإمام أحمد والترمذي والنسائي وابن ماجه، وقال الترمذي: حديث حسن[1].

الشرح

قوله: (**مَا مَلَأَ آدَمِيٌّ وِعَاءً شَرًّا مِنْ بَطْنٍ**)؛ لأنه من ناحية الصحة المعدة بيت الداء، والتُّخمة شرٌّ وبلاء، ثم إن الشبع من شأنه أن يحصل التثاقل عن الطاعة والتهجد في آخر الليل، ومن شأن الرغبة في الأكل والإكثار منه الغفلة عن الآخرة، قد يُخشى على الإنسان أن يكون ممن قال الله عَزَّوَجَلَّ فيه: ﴿أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُم بِهَا﴾ [الأحقاف: ٢٠]، والله جَلَّ وَعَلَا يقول: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ [الأعراف: ٣١].

وقوله: (**لُقَيْمَاتٌ**)، للتقليل والحث على التقليل.

قوله: (**فَإِنْ كَانَ لَا مَحَالَةَ؛ فَثُلُثٌ لِطَعَامِهِ، وَثُلُثٌ لِشَرَابِهِ، وَثُلُثٌ لِنَفَسِهِ**)، إذا أحبَّ الإنسان ولابد أن يكثر، فلا يزد عن الثلث.

---

(١) أخرجه أحمد (٤/ ١٣٢)، والترمذي (٢٣٨٠)، والنسائي في الكبرى (٤/ ١٧٧)، وابن ماجه (٣٣٤٩).

ويقول العلماء: إن الإنسان كلما أكثر من الطعام وملأ جوفه؛ كلما ثقل على القلب العمل، وأحسَّ بالإرهاق، وضعف عن القيام بكثير من الواجبات النافعة لدينه.

الحديث الثامن والأربعون

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا خَالِصًا، وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْهُنَّ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنَ النِّفَاقِ حَتَّى يَدَعَهَا: إِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ، وَإِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ». خَرَّجه البخاري ومسلم[١].

الشرح

هذا الحديث فيه أوصاف النفاق العملية، فإن النفاق ينقسم إلى: نفاق العمل، ونفاق الاعتقاد.

نفاق الاعتقاد: أن يظهر الإسلام ويبطن الكفر، وهذا ما كان عليه المنافقون الذين نافقوا على عهد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ومثله نفاق الزنادقة؛ يتظاهر الواحد منهم بأنه من أهل الإيمان، وهو يبطن الحقد والعداوة لأهل الإيمان.

أما نفاق العمل: فهذه أوصافه الأربع، وفي حديث آخر: **«آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلاثٌ: إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ»**[٢].

قوله: **(أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ)**، يعني: أنهن صفة له.

قوله: **(كَانَ مُنَافِقًا خَالِصًا)**، أي: في النفاق العملي، أمَّا لو اعتقد مع ذلك النفاق الباطني، وهو اعتقاد بطلان الإسلام وخرافة التدين، ولكنه

---

(١) أخرجه البخاري (٣٤)، ومسلم (٥٨).

(٢) أخرجه البخاري (٣٣)، ومسلم (٥٩) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

يريد أن يحقق مصالح دنياه بإعلان أنه على ما عليه الجماعة، كان ذلك -إن مات عليه- من أهل الدرك الأسفل من النار؛ لقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا﴾ [النساء:١٤٥].

قوله: (وَإِذَا حَدَّثَ كَذَبَ)، يعني: أن من صفته في حديثه كله أنه يكذب.

قوله: (وَإِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ)، أي: لا يقوم بأداء الأمانة.

قوله: (وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ)، أي: كان من عادته أنه يفجر في المخاصمات.

أمَّا لو أنه كذب مرة، أو غدر مرة، أو خان مرة، فهذه تختلف، فهي ذنوب ومعاصٍ، ولكن الصفات اللازمة هي الخطيرة؛ لأنها قد تجر إلى نفاق القلب والعياذ بالله.

الحديث التاسع والأربعون

عَنْ عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَوْ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَوَكَّلُونَ عَلَى اللهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ؛ لَرُزِقْتُمْ كَمَا يُرْزَقُ الطَّيْرُ؛ تَغْدُو خِمَاصًا، وَتَرُوحُ بِطَانًا». رواه الإمام أحمد والترمذي والنسائي وابن ماجه وابن حبان والحاكم، وقال الترمذي: حسن صحيح[١].

الشرح

هذا الحديث يحث على مراعاة التوكل، واعتقاد أن الله جَلَّ وَعَلَا بيده كل شيء، ولا يفوت العبدَ شيءٌ كُتب له، وأن الله تكفل بالأرزاق والآجال، فلا يخرج شيء عن إرادته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

فلو توكل الناس عليه حق التوكل لجاءتهم أرزاقهم، أي: ارتاحوا عن الهم والحزن والأسف.

فحقيقة الأمر أن ما كُتب سيأتي، وما لم يُكتب لا يُدرك، ولكن إذا أحسن الإنسان التوكل على الله اطمأن، فما حصل عليه عَلِمَ أنه مكتوب له، وما فاته لم تقطعه نفسه بالحسرات؛ لأنه موقن أن ما فات ما كان ليحصل، وأنه ما من إنسان ولا مخلوق إلا وسيأتيه كل ما كُتب له، ولن يحصل له شيء لم يُكتب وإن تطلعت نفسه إليه.

فالبهائم وسائر الحيوانات والطيور ما تهتم برزق غدٍ! إذا أصبحت

---

(١) أخرجه أحمد (١/ ٣٠)، والترمذي (٢٣٤٤)، وابن ماجه (٤١٦٤)، وابن حبان (٢/ ٥٠٩)، والحاكم (٤/ ٣١٨).

توجهت إلى مطالب الرزق في حال جوعها، ثم إذا جاء آخر النهار رجعت بما كتب الله لها.

لكن ابن آدم وقد أعطاه الله جَلَّ وَعَلَا مزيد عقل على سائر ذوات الأرواح، يتبطر ويظن أن هذا العقل هو الذي يحقق له المطالب!

لكن هذا العقل دليل، وقد يكون الدليل غير قائم بعمله، وقد يجمح الدليل فيضل هو ومن يقوم بدلالته، لكن إذا أحسن التوكل على الله لم يفته ما قدَّر الله له، وأدرك المسيرة.

الحديث الخمسون

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ بُسْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَجُلٌ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، إن شَرَائِعَ الإِسْلَامِ قَدْ كَثُرَتْ عَلَيْنَا، فَبَابٌ نَتَمَسَّكُ بِهِ جَامِعٌ، قال: «لَا يَزَالُ لِسَانُكَ رَطْبًا مِنْ ذِكْرِ اللهِ». خَرَّجَهُ الإمام أحمد بهذا اللفظ(١).

الشـرح

هـذا الحـديث حـديث عظيم؛ لأن ذكـر الله جَلَّ وَعَلَا يحُضُّ على بقية الأعمال الصالحة؛ إذا اشتغل بذكر الله حرص أن يقوم بكل ما يحبه الله مما يقدر عليه، وحرص على اجتناب كل ما يكرهه الله، والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يحب لعبده الخير وما ينفعه، ويكره مساءته وارتكابه ما حرم عليه؛ لأنه رتَّب الحساب والثواب على طاعته وامتثال أوامره، ورتَّب العقاب على معصيته والتجرؤ على اجتياز حدوده.

فقول المصطفى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **(لَا يَزَالُ لِسَانُكَ رَطْبًا مِنْ ذِكْرِ اللهِ)**، قد سبق ما يتعلق بالأذكار وآثارها.

الأذكار يُستعان بها على تخفيف تعب الدنيا، وكذا تخفيف أعبائها، وكذلك يُشرع التكبير والذكر في ميادين القتال؛ لما فيها من تزكية النفس واطمئنانها، وقوة القلب، وحسن تدبيره للجوارح.

---

(١) أخرجه **أحمد (٤/١٨٨)**، وابن أبي شيبة في مصنفه (٦/٥٨)، والبيهقي في الكبرى (٣/٣٧١).

وقوله: **(لَا يَزَالُ لِسَانُكَ رَطْبًا مِنْ ذِكْرِ اللهِ)**؛ لأن اللسان كلما استقر بدون حركة جف ما عليه من رطوبة وريق، فإذا كان منشغلًا بذكر الله؛ كان ذلك الذكر حياة لهذا اللسان، وإنعاشًا للقلب، واطمئنانًا له، والموفَّق من وفَّقَه الله.

الخاتمـــة

نسأل الله جميعًا أن يثبتنا بالقول الثابت، وأن يهيئ لنا جميعًا من أمرنا رشدًا، وأن يصلح قلوبنا إنه مجيب الدعاء.

كما نسأله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أن يوفقنا جميعًا لحسن التعامل مع سنة رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والحرص على معرفة مراد الله جَلَّ وَعَلَا، ومراد رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأن يوفقنا الله جَلَّ وَعَلَا للقيام بما نستطيعه من تنفيذ ذلك.

كما نسأله بأسمائه وصفاته أن يحسن عاقبتنا في الأمور كلها، وأن يصلح بلادنا وبلاد المسلمين، وأن يهدي ضال المسلمين، وأن يبرم لهذه الأمة أمرًا رشدًا، يعز به أهل طاعته سبحانه وتعالى، ويذل فيه أهل معصيته.

كما أسأله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بأسمائه وصفاته أن يوفق ولي أمرنا في هذه البلاد بكل ما يعز به هذه العقيدة، وأن يحمي أخلاق الأمة، ويصون لنا عاداتنا وتقاليدنا، وأن يكون ذلك في ابتغاء مرضاة الله، وأن يحسن جزاءه على ذلك بالتوفيق لكل خير، والصد عن كل شر، كما أسأله جَلَّ وَعَلَا بأسمائه وصفاته أن يقينا شر أنفسنا، وشر من حولنا، وشر أعدائنا، وأن يرزقنا قلوبًا رجاعة، وألسنة ذاكرة له سبحانه وتعالى، وأن يحسن خاتمتنا جميعًا، وأن يرينا في كل يوم تحسن أحوال الأمة، وتقدم الخير فيها، وانحسار الشر عنها، كما نسأله أن يرينا عاجلاً غير آجل إذلال أعداء الله من اليهود والنصارى والكفار والمشركين، وأن يذلهم في أوطانهم، وأن يجعل ذلك عبرة للمعتبرين، وسبب سعادتنا في ديننا ودنيانا، إنه مجيب الدعاء، وصلى اللهم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

فهرس المصادر والمراجع

١- إحياء علوم الدين، محمد بن محمد الغزالي أبو حامد، دار المعرفة، بيروت.

٢- أصول السرخسي، محمد بن أحمد بن أبي سهل شمس الأئمة السرخسي، دار المعرفة، بيروت.

٣- الأشباه والنظائر، تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١١هـ.

٤- الأشربة وذكر اختلاف الناس فيها، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، تحقيق: حسام البهنساوي، ، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة.

٥- البحر الزخار (مسند البزار)، أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق البزار، تحقيق: محفوظ الرحمن زين الله، مؤسسة علوم القرآن ، مكتبة العلوم والحكم، بيروت ، المدينة، ط١، ١٤٠٩هـ.

٦- البداية والنهاية، عماد الدِّين أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير، مكتبة المعارف، بيروت، ط٦، ١٤٠٥هـ.

٧- تاريخ مدينة دمشق وذكر فضلها وتسمية من حلها من الأماثل، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله الشافعي، تحقيق: محب الدين العمري، دار الفكر، بيروت، طبعة ١٩٩٥م.

٨- التلخيص الحبير في تخرِّيج أحاديث الرافعي الكبير، أبو الفضل شهاب الدين أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تصحيح عبد الله هاشم اليماني، المدينة المنورة، طبعة ١٣٨٤هـ.

٩- ثلاثة الأصول، محمد بن عبدالوهاب، تحقيق: ناصر بن عبد الله الطريم وآخرين، مطابع الرياض، الرياض، ط١.

١٠- الجامع الصحيح (سنن الترمذي)، محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرين، إحياء التراث العربي بيروت.

١١- جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثًا من جوامع الكلم، زين الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن شهاب الدين البغدادي، تحقيق: شعيب الأرناؤوط - إبراهيم

باجس، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٧، ١٤١٧هـ.

١٢- حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله، دار الكتب العلمية، بيروت.

١٣- حلية الأولياء، أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٤، ١٤٠٥هـ.

١٤- الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق: محمد سيد جار الحق، دار الكتب الحديثة، القاهرة، ط٢، ١٣٨٥هـ.

١٥- ذيل تذكرة الحفاظ، أبو المحاسن محمد بن علي الدمشقي، دار الكتب العلمية، بيروت.

١٦- سنن ابن ماجه، محمد بن يزيد أبو عبد الله القزويني، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر، بيروت.

١٧- سنن الدارمي، عبد الله بن عبد الرحمن أبو محمد الدارمي، تحقيق: فواز أحمد زمرلي - خالد السبع العلمي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٤٠٧هـ.

١٨- شذرات الذهب، عبدالحي بن أحمد بن محمد العكري الحنبلي، تحقيق: عبد القادر الأرناؤوط - محمود الأرناؤوط، دار ابن كثير، دمشق، ط١، ١٤٠٦هـ.

١٩- شرح علل الترمذي، أبو الفرج عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي، تحقيق: همام عبد الرحيم سعيد، مكتبة المنار، الأردن، ط١، ١٤٠٧هـ.

٢٠- شعب الإيمان، أحمد بن الحسين البيهقي، تحقيق: محمد السعيد بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٠هـ.

٢١- صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار السلام للنشر والتوزيع، الرياض، ط١، ١٤١٧هـ.

٢٢- صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث، بيروت.

٢٣- صفة الصفوة، عبدالرحمن بن علي بن محمد أبو الفرج، تحقيق: محمود فاخوري - محمد رواس قلعجي، دار المعرفة، بيروت، ط٢، ١٣٩٩هـ.

٢٤- الصمت وآداب اللسان، أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبيد بن أبي الدنيا القرشي البغدادي، تحقيق: أبي إسحاق الحويني، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٤١٠هـ.

٢٥- طبقات الحفاظ، عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٣هـ.

٢٦- طبقات الشافعية الكبرى، تاج الدين بن عبد الله بن عبد الكافي السبكي، تحقيق: محمود محمد الطناحي - عبد الفتاح محمد الحلو، هجر للطباعة والنشر، ط٢، ١٤١٣هـ.

٢٧- العبر في خبر من غبر، شمس الدين الذهبي، تحقيق صلاح الدين المنجد، مطبعة حكومة الكويت، الكويت.

٢٨- العلل المتناهية في الأحاديث الواهية، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي، تحقيق: خليل هراس، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٣هـ.

٢٩- قرة العينين برفع اليدين في الصلاة، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، تحقيق: أحمد الشريف، دار الأرقم للنشر والتوزيع، الكويت، ط١، ١٤٠٤هـ.

٣٠- الكامل في ضعفاء الرجال، عبد الله بن عدي بن عبد الله أبو أحمد الجرجاني، تحقيق: يحيى مختار غزاوي، دار الفكر، بيروت، ط٣، ١٤٠٩هـ.

٣١- لسان العرب، ابن منظور جمال الدِّين أبوالفضل محمد بن مكرم الأنصاري الإفريقي ثمّ المصري، دار صادر، بيروت، ط١.

٣٢- المحدث الفاصل، الحسن بن عبد الرحمن الرامهرمزي، تحقيق محمد عجاج الخطيب، دار الفكر، بيروت، ط٣، ١٤٠٤هـ.

٣٣- مختصر اختلاف العلماء، أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة الطحاوي، تحقيق: عبد الله نذير أحمد، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ط٣، ١٤١٧هـ.

٣٤- مختصر قيام الليل وقيام رمضان وكتاب الوتر، أبو عبد الله محمد بن نصر بن الحجاج المَرْوَزِي، اختصرها: أحمد بن علي المقريزي، الناشر: حديث أكادمي، فيصل أباد -

باكستان، ط١، ١٤٠٨هـ.

٣٥- المدهش، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن علي بن الجوزي، تحقيق: مروان قباني، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٤٠٥هـ.

٣٦- المعجم الكبير، أبو القاسم الطبراني، تحقيق حمدي بن عبد المجيد السلفي، مكتبة العلوم والحكم، الموصل، الطبعة الثانية ١٤٠٤هـ.

٣٧- المستدرك على الصحيحين، محمد بن عبد الله أبو عبد الله الحاكم النيسابوري، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١١هـ.

٣٨- مسند أبي يعلى، أحمد بن علي بن المثنى أبو يعلى الموصلي التميمي، تحقيق: حسين سليم أسد ، دار المأمون للتراث، دمشق، ط١، ١٤٠٤هـ.

٣٩- مسند الإمام أحمد بن حنبل، مؤسسة قرطبة، مصر.

٤٠- المنار المنيف في الصحيح والضعيف، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر الحنبلي الدمشقي، تحقيق: عبدالفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب، ط٢، ١٤٠٣هـ.

٤١- منهاج السنة النبوية، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس، تحقيق: محمد رشاد سالم، مؤسسة قرطبة، ط١، ١٤٠٦هـ.

٤٢- النهاية في غريب الحديث والأثر، أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي - محمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية، بيروت، ١٣٩٩هـ.

فهرس الموضوعات


بحمد الله تم